لا تكن أعجز الناس

فتترك سلاحك

شــأن الـدعـاء

فـضـلـــــــــــــه

آدابـــــــــــــه

أوقاتـــــــــــه

أحـوالـــــــه

أماكنـــــــه

موانعـــــه

كتبـه
عبد الرحمن بن عبد الله بن صالح السحيم

إهــداء
و
نـــداء

إلى كلّ ملهوف ، وإلى كلّ مكروب ومحزون ، أو سجين أو طريد ، وإلى كلّ مظلوم كبده حرّى ، وإلى كلّ طريح الفراش حبيس المرض ، أو مَنْ له غائب ينتظر قدومه ، وإلى كلّ امرأة غاب عنها زوجها ، أو اتّسعت هوّة الخلاف بينه وبينها ، وإلى كلّ مَنْ تزوّج ولم يُوفّق ، وإلى كل عَزَبٍ يبحث عن زوجة ، وإلى كل فتاة طالت أيمتها ، وإلى مَنْ رُزِقَ الزوجة وحُرِمَ الولد ، وإلى كلّ أب أو أم يَهمّهم صلاح أولادهم ، أو يُقلقهم فسادهم ، وإلى كلّ ذي حاجة لم تُقضَ له ، وإلى مَنْ أُغلِقَتْ بوجهه الأبواب ، وإلى ذوي الفقر والمَسْكَنَة ، وإلى مَنْ رَكِبَته الديون فتراكمتْ ، وإلى كلّ سائل ، وإلى كل مُبتلى بمسّ أو سحر ، وإلى كل من أصيب بِشواظٍ من عين حاسد ! وإلى من ضاقت عليه السُّبُل وضاقت عليه نفسه ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت فأصبح ينظر إلى الدنيا من ثقب إبرة ولا يرى أمامه سوى إزهاق روحه وقتل نفسه ...

إليكم جميعًا :

ألم يأن لكم جميعًا أن تَمُدّوا أيديكم إلى مالك الملك ، وإلى مَنْ بيده ملكوت كلّ شيء ، وهو يُجير ولا يُجار عليه ؟

ألم تتذكّروا فضل الدعاء ؟

ألم تعلموا أنه سلاح المؤمن ؟

فإلى متى التّواني ؟

وإلى متى البخل على أنفسكم ؟

وإلى متى العجز والكسل ؟

إن ما بينكم وبين السماء السابعة سوى مسافة دعوة مظلوم .

وما بينكم وبين باب ذي المنن سوى قَرْعِهِ وإدامة ذلك .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي الأعلى ، الذي يعلم السر وأخفى .

الحمد لله الجواد الكريم ، أمر عباده بالدعاء ووعدهم بالإجابة فضلا مِنْه ومِنّة وتكرما .

أشهد أن ربي حيي كريم ، وأنه عظيم حليم .

وأنه أهل الثناء والمجد ، لا نحصي ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه .

وأُصلّي وأُسلّم على من بعثه ربه بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وعلى آله وأصحابه الأخيار الأبرار ما تعاقب الليل والنهار .

أما بعد :

فإن الدعاء عبادة بل هو العبادة [1] .

ولما كان كذلك ورأيت أن بعض الناس يتدافعون أحيانا على أبواب الناس ويزدحمون عليها ، غافلين أو متغافلين عن باب ذي الجلال والإكرام ، منصرفين عن باب الجواد الكريم سبحانه ، لما رأيت ذلك أحببت أن أكتب في هذا الموضوع وأوضّح فيه ما كان خافيا عليّ في يوم من الأيام ، فقد عَرَضَتْ للعبد الفقير حاجة ، فكان من توفيق الله – ﷻ – أن وقفت على ما رواه الإمام أحمد وغيره من حديث عبد الله بن مسعود – ﷺ – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : مَنْ نَزَلَتْ به فاقة فأنزلها بالناس لم تُسَدّ فاقته ، ومَنْ نَزَلَتْ به فاقة فأنزلها بالله ، فيوشك الله له برزق عاجل ، أو آجل [2] فالحمد لله أولاً وآخرا .

وما رأيته من لجوء كثير من الناس إلى الأسباب المادية ، وإلى الخلق – دون قرع باب مسبب الأسباب ، ومن بيده قلوب العباد ، وإليه المعاد – مما دفعني للبحث في هذا الموضوع والكتابة فيه . رجاء أن أنتفع به أولاً ، وينتفع به غيري ثانيًا .

وحسبي أن أغترف مما صحّ من دواوين السُّنّة وبطون كتب السلف ، مما وشّيْتُ به هذه الرسالة وحلّيتُ به عرائس القول .

وحسبي أني أنتقي من أطايب القول ، وأنظمه عقدا في سلك الترقيم ! مما قد يخفى على بعض الناس إن لم يكن على كثير ممن يُريد الدعاء .

---

(١) كما سيأتي في حديث النعمان بن بشير – ﷺ – (ص ٩) .

(٢) حديث صحيح : المسند (١/٤٤٢) والترمذي (٤/٥٦٣) .

ولي في صنيعي هذا قدوة وأسوة في أئمة الإسلام ، وإن كنت في جنبهم كبقلٍ في أصول نخل طوال[1] ، لكن التّشبّه بالكرام فلاح .

وبدا لي أن أكتب من خلال النقاط التالية :

١ تعريف الدعاء وأنواعه

٢ الأمر بالدعاء والحث عليه .

٣ فضل الدعاء .

٤ كيف يكون الدعاء مستجابًا ؟

٥ أدعية مأثورة ودعوات مستجابة .

٦ موانع الدعاء .

٧ نماذج من دعوات الصالحين المُستَجابَة .

وسوف ألتزم في هذه الرسالة بالاقتصار على ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ففي الصحيح غُنية وكفاية ، وسوف أقوم بتخريج الأحاديث تخريجا متوسطا ، وأُقدِّم بين يدي التخريج بالحكم على الحديث صحة أو حُسنا ، وأما ما يكون من أحاديث الصحيحين أو أحدهما فسوف أكتفي فيه بمجرد العزو بالجزء والصفحة ورقم الحديث ما أمكن ، إذ أحاديث الصحيح قد جاوزت القنطرة ، وتلقتها الأمة بالقبول ، واعتنيت بتخريج أحاديث الصحيحين فالمرفوع منها أذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة ، إلا أني أغفلت الأبواب في التخريج من صحيح مسلم ؛ لأن التبويب من صنيع الشُّرّاح وليس من صنيع الإمام مسلم – رحمه الله – .

وإذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فإني أكتفي بالعزو إليهما دون غيرهما ، إلا لزيادة فائدة .

---

(١) روى الخطيب البغدادي في موضح أوهام الجمع والتفريق (١٣/١) عن أبي عمرو بن العلاء قال : ما نحن فيمن مضى إلا كَبَقْلٍ في أصول نخل طوال . والبقل : النبت الصغير ، ومنه : ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا﴾ [البقرة: ٦١] .

كما سيلحظ القارئ الكريم في بعض الصفحات أو من خلال بعض النقاط أني أسرد فيها الآيات والأحاديث دون تعليق أو بيان مُكتفيا بوضع العنوان ، وعذري في ذلك وضوح الفكرة ، مع بيان النصّ بيانًا جليًّا لما أردت الاستدلال عليه .

وأتوجّه بجزيل شكري وعرفاني وتقديري لمشايخي وإخواني الذين راجعوا هذه الرسالة ، فأتحفوني بمقترحاتهم ، وأمدّوني بملحوظاتهم ، فالله أسأل أن يُعلي درجتهم ، وأن يرفع ذِكرهم ، وأن يُثقِّل بذلك موازينهم .

وأسأله سبحانه وتعالى " سلوك سبيل الرشاد ، والعِصمة من أحوال أهل الزيغ والعناد ، والدوام على جميع أنواع الخير في ازدياد ، والتوفيق في الأقوال والأفعال للصواب ، والجري على آثار ذوي البصائر والألباب ، وأن يفعل ذلك بوالدينا ومشايخنا وجميع من نُحبّه ويُحبنا ، وسائر المسلمين إنه الواسع الوهاب ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه مَتاب " [1] .

وهذا جُهد المُقلّ ، فما كان فيه من سداد وتوفيق فهو مِنّة من الله وحده ، وما كان فيه من عيب فذاك مني ، والله ورسوله مِنه بريئان .

وأشكر كل من أهدى إليّ عيوبي .

---

(١) ما بين العلامتين من مقدمة الإمام النووي لكتابه المجموع شرح المهذب (٢٩/١)

أولاً : تعريف الدعـاء

الدعاء هو : النداء والطلب

ومنه قوله سبحانه : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ **[البقرة: ١٧١]**

قال في المصباح المنير : دعوتُ الله أدعوه دعاء . ابتهلت إليه بالسؤال ، ورغبت فيما عنده من الخير ، ودعوت زيدًا : ناديته ، وطلبت إقباله [(١)] .

وقال الزمخشري : دعوت فلانا وبِفلان : ناديته وصِحْت به [(٢)]

وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : الدعاء هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له [(٣)] .

ويُفرّق العلماء بين الدعاء والأمر والالتماس .

فالأمر : طلب من الأعلى إلى الأدنى .

والدعاء : – عكسه – طلب من الأدنى إلى الأعلى .

والالتماس : طلب بين مُتساويين [(٤)] .

وإنما أوردت الفروق هنا لأن من الناس من يُشكل عليه قول الداعي – مثلاً – : اللهم أدخلني برحمتك التي وسعت كل شيء . فيظن أن هذا من جنس الأمر ، وليس كذلك .

أنواعـه :

يتنوّع الدعاء باعتبارات :

---

(١)(٢/٢٦٤) .

(٢) أساس البلاغة (ص ٢٣٢) .

(٣) سيأتي بتمامه بمشيئة الله . انظر – غير مأمور – (ص ١٦) من هذا الكتاب .

(٤) مما قيّدته مِنْ فوائد دروس شيخنا الفاضل الشيخ العلامة عبد الكريم الخضير – حفظه الله – عند قول أبي قتادة – ﷺ – للنبي ﷺ – في صاحب الدَّين – : صَلِّ عليه . قال : فهذا التماس من أبي قتادة – ﷺ – .

١ – باعتبار هيئة الداعي :

أن يرفع يديه حذو منكبيه ، أو يمدّ يديه مَدّا ، أو يُشير بأصبع واحدة .

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : المسألة أن ترفع يديك حذو منكبيك أو نحوهما ، والاستغفار أن تشير بأصبع واحدة ، والابتهال أن تمدّ يديك جميعا [١] .

وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا خَطَب يُشير بأصبعه المسبِّحة .

روى مسلم عن عمارة بن رؤيبة – ﷺ – أنه رأى بشر بن مروان على المنبر رافعًا يديه فقال : قبّح الله هاتين اليدين ! لقد رأيت رسول الله ﷺ ما يزيد على أن يقول بيده هكذا ، وأشار بإصبعه المسبحة [٢] .

٢ – باعتبار لفظ الدعاء :

توحيد وثناء ، ومسألة عفو ورحمة ، وسؤال عافية ونحوها .

قال ابن منظور – رحمه الله – :

قال الله تعالى : (وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) قال أبو إسحاق : يقول : ادعوا من استدعيتم طاعته ورجوتم معونته في الإتيان بسورة مثله ، وقال الفراء : وادعوا شهداءكم من دون الله يقول آلهتكم . يقول استغيثوا بهم ، وهو كقولك للرجل : إذا لقيت العدو خاليا فادع المسلمين ، ومعناه استغث بالمسلمين ، فالدعاء ههنا بمعنى الاستغاثة ، وقد يكون الدعاء عبادة : (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ) وقوله بعد ذلك : (فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ) يقول : ادعوهم في النوازل التي تنزل بكم إن كانوا آلهة كما تقولون يجيبوا دعاءكم ، فإن دعوتموهم فلم يجيبوكم فأنتم كاذبون أنهم آلهة ، وقال أبو إسحاق في قوله عز وجل : (أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) : معنى الدعاء على ثلاثة أوجه :

---

(١) حديث صحيح : رواه أبو داود مرفوعا وموقوفًا (٢/٧٩) ح ١٤٨٩ – ١٤٩١ ، ورواه الحافظ الضياء في المختارة موقوفًا . وهو في صحيح الجامع برقم ٦٦٩٤ .

(٢) (٢/٥٩٥) ح ٨٧٤ .

فَضَرْبٌ منها توحيده والثناء عليه كقولك : يا الله لا إله إلا أنت ، وكقولك : ربنا لك الحمد إذا قلته فقد دعوته بقولك ربنا ثم أتيت بالثناء والتوحيد ومثله قوله عز وجل : (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) فهذا ضرب من الدعاء .

والضرب الثاني مسألة الله العفو والرحمة وما يقرب منه كقولك : اللهم اغفر لنا .

والضرب الثالث مسألة الحظ مِن الدنيا كقولك : اللهم ارزقني مالا وولدا .

وإنما سمي هذا جميعه دعاء لأن الإنسان يصدر في هذه الأشياء بقوله يا الله ، يا رب ، يا رحمن ، فلذلك سمي دعاء [1] . اهـ .

ويُقسّم بعض العلماء الدعاء إلى :

١ – دعاء عبادة .

٢ – دعاء مسألة .

فالأول مثاله الصوم والصلاة وسائر العبادات ، فإذا صلى أو صام فقد دعا ربه بلسان حاله أن يغفر له ، وأن يُجيره من عذابه ، وأن يُعطيه من نوالِه .

ومَنْ صَرَف شيئا من هذا النوع لغير الله فقد أشرك بالله ، وشِركه يُعدّ شركًا أكبر .

والثاني منه ما هو عبادة ، وهو موضوع هذا الكتاب ، وهذا لا يجوز صرفه إلا لله ، فَمَن صَرَفه لغير الله فقد أشرك .

ومنه ما هو ليس من جنس العبادة ، ومنه قوله – عليه الصلاة والسلام – : مَنْ دعاكم فأجيبوه[2] . وهذا مما يقدر عليه المخلوق ، وفيما يقدر عليه [3] .

والدعاءُ إنما يكون رغبةً ورهبةً خوفا ورجاءً .

رغبة بما عند الله – ﷻ – من الثواب العاجل والنعيم المقيم ، ورهبة مما أعدّه لأعدائِه من العذاب المقيم والنَّكال والجحيم .

---

(١) لسان العرب (١٤ / ٢٥٧) .

(٢) رواه البخاري ح .

(٣) يُنظر لمزيد من البيان : القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ العثيمين (١ / ١٢٠ ، ١٢١) .

وقد أثنى الله على أنبيائه فقال : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ **[الأنبياء: ٩٠]** .

وقال – عز وجل – آمِرًا عباده المؤمنين بذلك : ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ **[الأعراف: ٥٥،٥٦]** .

قال ابن عطية في قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ : **والمعنى أنهم يَدْعُون في وقت تعبدهم وهُم بِحال رغبة ورجاء، ورهبة وخوف في حال واحدة؛ لأن الرغبة والرهبة متلازمان . وقال بعض الناس : الرَّغَب أن تُرْفَع بطون الأكُفّ نحو السماء ، والرَّهب أن تُرْفَع ظهورها . وتلخيص هذا : أن عادة كل داعٍ مِن البَشر أن يَستعين بيديه، فالرَّغَب من حيث هو طلب يحسن معه أن يُوجِّه باطن الرَّاح نحو المطلوب منه ، إذْ هي موضع الإعطاء وبها يتمَلّك، والرَّهَب مِن حيث هو دَفع مَضَرَّة يحسن معه طرح ذلك والإشارة إلى إذهابه وتوقيه بِنَفْضِ اليدِ ونحوه** [1] .

(١) المحرر الوجيز (٤/٩٨) .

ثانيًا : الأمر بالدعاء والحث عليه

أمَر الله سبحانه بالدعاء ووعد بالإجابة ، فقال جلّ شأنه : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ **[غافر: ٦٠]**

فَسمَّى اللهُ عز وجل الدعاء : عبادة ، كما في الآية السابقة ، وكذلك سمّاه رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، كما في حديث النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إن الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ **[غافر: ٦٠]** [(١)] .

وقال ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ هُوَ الدُّعَاءُ ، وَقَرَأَ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ **[غافر: ٦٠]** [(٢)] .

وقَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ : أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ كُلِّهَا الدُّعَاءُ .

واهْتَمّ السلف بالدعاء ؛ لأنه عبادة وطاعة وقُرْبَة .

رَوَى أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ كَانَ يُوَاظِبُ عَلَى حِزْبِهِ مِنَ الدُّعَاءِ كَمَا يُوَاظِبُ عَلَى حِزْبِهِ مِنَ الْقُرْآنِ .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضيَ اللهُ عنه : لِكُلِّ شَيْءٍ ثَمَرَةٌ وَثَمَرَةُ الصَّلاةِ الدُّعَاءُ [(٣)] .

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : الدعاءُ من أعظم الدّين [(٤)] .

---

(١) حديث صحيح : رواه أحمد (٢٦٧/٤) وأبو داود (٧٦/٢) والترمذي (٢١١/٥) وابن ماجه (٢٦٢/٤) والنسائي في الكبرى (٤٥٠/٦) وابن أبي شيبة (٢١/٦) والحاكم (٦٦٧/١) وقال :صحيح الإسناد ، وابن حبان (١٧٢/٣) والبخاري في الأدب المفرد (ص ٢٦٥ صحيح الأدب) وصححه الألباني في الموضع السابق من صحيح الأدب المفرد .

أما الحديث المشهور : " الدعاء مخ العبادة " فهو حديث ضعيفٌ لا تقوم به حجة ، ومدار إسناده على (ابن لهيعة) وقد اختلط بعد احتراق كتبه ، وتُنظر ترجمته في تهذيب التهذيب لابن حجر (٢٢٧/٣-٢٣٠) .

(٢) رواه الحاكم (ح ١٨٠٥) .

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ابن عبد البر (٣٠٠/١٠) .

(٤) مجموع الفتاوى (٤٧٥/٢٢) .

وقال ابن منظور – رحمه الله – :

في أسماء الله : الْمُجِيب ، وهو الذي يُقابل الدعاء والسؤال بالعطاء والقبول سبحانه وتعالى [1] .

وأمَر الله – عز وجل – بالدعاء والإخلاص فيه ، فقال سبحانه : ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:٢٩] إذْ الدعاء حال الإخلاص أبلغُ في حصول المقصود ، وأقرب إلى انكسار القلب، وصدقِ اللجؤ إلى الله سبحانه وتعالى . لذا كانت دعوة المضطر مستجابَة : ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل:٦٢] .

وفي حديث أبي هريرة رضيَ اللّهُ عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: دعوة المظلوم مستجابة ، وإن كان فاجرا ، ففجوره على نفسه [2] .

ألم تر حال المشركين في الجاهلية الأولى كيف يتخلّون عن آلهتهم ويَدْعُون الله مخلصين له الدين وذلك إذا ركبوا في الفلك ، واضطربت بهم الأمواج ، كما في قوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[يونس:٢٢] .

والمشركون ما كانوا يفزعون لآلهتهم عند الشدائد ، بل كانوا يلجؤون إلى الله ، إذ النفوس جُبلت على الالتجاء لله وحده عند حصول المكروه ؛ إلا ما يكون من بعض مشركي زماننا ! فإن ملجأهم ومفزعهم (السيّد) أو (القطب) ، فأبو جهل أفقهُ من هؤلاء !!

---

(١) لسان العرب (٢٨٣/١) .

(٢) رواه الإمام أحمد (٣٦٧/٢) ورواه ابن أبي شيبة (٤٨/٦) وقال المنذري في الترغيب (١٣٠/٣) : رواه أحمد بإسناد حسن . وقال الهيثمي في المجمع (١٥١/١٠) : رواه أحمد والبزار بنحوه وإسناده حسن . وقال الحافظ في الفتح (٤٢٢/٣) : وإسناده حسن .

قال مُقيّده – عفا الله عنه – : في إسناده أبو معشر ، وهو نجيح بن عبد الرحمن السندي ، وهو ضعيف ، وله شاهد من حديث أنس مرفوعًا : اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرًا ؛ فإنه ليس دونها حجاب . رواه أحمد (١٥٣/٣) وابن معين في تاريخه (٤٥٨/٤) وفي إسناده عبد الرحمن بن عيسى أبو عبد الله الأسدي ، وهو مجهول . والحديث أورده الألباني في الصحيحة (برقم ٧٦٧) .

تأمّل قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان:٣٢] .

قال ابن القيم – رحمه الله – : التوحيد مَفْزَعُ أعدائه وأوليائه ؛ فأما أعداؤه فينجيهم من كُرب الدنيا وشدائدها : ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥] ، وأما أولياؤه فينجيهم به من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها ، ولذلك فزع إليه يونس فنجّاه الله من تلك الظلمات ، وفزع إليه أتباع الرسل فَنَجَوا بِهِ [١] مما عُذِّبَ به المشركون في الدنيا ، وما أُعِدّ لهم في الآخرة ، ولما فزع إليه فرعون عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق له لم ينفعه ؛ لأن الإيمان عند المعاينة لا يُقبل . هذه سنة الله في عباده . فما دُفِعَتْ شدائد الدنيا بمثل التوحيد [٢] .

وقال ابن القيم رحمه الله : التوحيد يُدخِل العبد على الله على ، والاستغفار والتوبة يرفع المانع ويزيل الحجاب الذي يحجب القلب عن الوصول إليه ، فإذا وصل القلب إليه زال عنه همه وغمه وحزنه ، وإذا انقطع عنه حصرته الهموم والغموم والأحزان وأتته مِن كل طريق ودَخَلَتْ عليه من كل باب [٣] .

وَلَمَّا ذُكِرَ الصيامُ وأحكامه في التنزيل العزيز ناسَب المقام أن يُذْكرَ بعده شأن الدعاء ، إذ الصيام يقترن بالقيام فهما صنوان ، والقيام يتضمن الدعاء ، قال ربنا سبحانه : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦] .

وجاء في سبب نزول هذه الآية أن الصحابة ﷺ قالوا : يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه ، أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله هذه الآية [٤] .

وتَمَعّن في هذه الآية حيث لم تُجعل الإجابة فيها للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقد ورد قبلها آيات وبعدها آيات سُئل فيها الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم أسئلة جاءته الإجابة

---

(١) أي : بالتوحيد .

(٢) الفوائد (٧٩) .

(٣) شفاء العليل ، ابن القيم (٢/٢٧٣) .

(٤) يُنظر لذلك جامع البيان ، ابن جرير الطبري (٢/١٥٨) .

مُصدّرة بِـ (قل) : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ **[البقرة: ١٨٩]** ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾الآية**[البقرة: ٢١٥]** ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾الآية**[البقرة: ٢١٩]** ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ الآية**[البقرة: ٢٢٠]**

وغيرها من الآيات ، أما هذه الآية فصُدِّرت بـ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [(١)] .

وما ذلك إلا لأن الدعاءَ عبادةٌ محضة لا يجوز صرفها لغير الله ، وحتى لا يُتوهّم أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم واسطة بين الخلق والخالق في ذات العبادة ، فجاء الجواب بالتأكيد ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ولم يقل سبحانه وتعالى : فقل، أي يا مُحَمَّد . والله أعلم .

---

(١) وبعد كتابة هذه الأسطر رأيت كلاما لشيخ الإسلام ابن تيمية حول هذا المعنى ، فحمدتُ الله على ما أَوْلَى مِن مِنن .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا سألوا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الأحكام أُمِرَ رسول الله صلى الله عليه على وسلم بإجابتهم ...فلما سألوه عنه سبحانه وتعالى قال : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فلم يقل سبحانه (فقل) بل قال تعالى:﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ .مجموع الفتاوى (٣٣٦/١) .

ثالثًا : فضل الدعاء

الدعاء فضله عظيم ، وشأنه جسيم

فبالإضافة إلى أنه عبادة مأمور بها ، مُثاب فاعِلها إلاَّ أنه :

١ - يُستدفعُ بِـهِ البلاء ، ويُـردُّ بِـهِ القضاء

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : لاَ يَرُدّ القَضَاءَ إلاّ الدّعَاءُ ، وَلاَ يَزِيدُ فِي العُمُرِ إلاّ البِرّ [(١)] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، فعليكم عباد الله بالدعاء [(٢)] .

٢ - كَـرامـة الدعاء على الله دِلالة على فضله

قال – عليه الصلاة والسلام – : لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ على اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الدّعَاءِ [(٣)] .

٣ - وبالدعاء تستمطر الرحمات ، وتُستدفع النقمات

ولذا كان الناس إذا قحطوا خرجوا للمصلى ، وسألوا الله جل وعلا ، وتضرعوا إليه فيسألونه بصدق وإخلاص وحسنِ لجاءة إليه ، فيستجيبَ دعاءهم ، (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ) **[الشورى:٢٨]** .

وفي الصحيحين من حديث أنسِ بنِ مالكٍ أَنّ رجُلا دخلَ المسجدَ يومَ جُمعةٍ من بابٍ كان نحوَ بابِ دارِ القضاءِ – ورسولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قائمٌ يخطبُ – فاستقبلَ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قائمًا ، ثم قال : يا رسولَ اللهِ . هلَكَتِ الأموالُ ، وانقطَعَتِ السبلُ ،

---

(١) رواه أحمد (٥/٢٨٠) وابن ماجه (١/٣٥ ، ٤/٣٦٩) والحاكم (١/٦٧٠) وصححه ، وابن حبان (٣/١٥٣إحسان) كلهم من حديث ثوبان . وحسنه العراقي كما في مصباح الزجاجة وهو كما قال . وله شاهد من حديث سلمان رواه الترمذي (٤/٤٤٨) .

(٢) رواه من حديث ابن عمر : الترمذي (٥/٥٥٢) والحاكم (١/٦٧٠) وصححه ، وقال الحافظ في الفتح (١١/٩٥) : وفي سنده لين وقد صححه – مع ذلك – الحاكم . وله شاهد من حديث معاذ : أخرجه أحمد (٥/٢٣٤) . وله شاهد ثان من حديث عائشة : رواه الحاكم (١/٦٦٩) والطبراني في الأوسط (٣/٦٦) .

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/٣٦٢) والبخاري في الأدب المفرد (٢٦٥ صحيح الأدب) والترمذي (٥/٤٢٥) وابن ماجه (٤/٢٦٢) والحاكم (١/٦٦٦) وقال : صحيح الإسناد ، وابن حبان (٣/١٥١ إحسان) . وهو حديث حسن .

فادعُ اللهُ يُغيثُنا فرفعَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدَيهِ ، ثم قال : اللّهمّ أغثْنا . اللّهمّ أغثْنا اللّهمّ أغثنا . قال أَنسٌ : ولا واللهِ ما نرَى في السماءِ من سحابٍ ولا قَزَعةً ، وما بَينَنا وبينَ سَلعٍ من بيتٍ ولا دارٍ . قال : فطلَعَتْ من ورائهِ سحابةٌ مثلُ التّرسِ ، فلمّا توسّطَتِ السماءِ انتَشَرتْ ثم أمطرَتْ ، فلا واللهِ ما رأينا الشمسَ سبتًا [1] ، ثمّ دَخلَ رجلٌ من ذلكَ البابِ في الجُمعةِ المُقبلة – ورسولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قائمٌ يَخطب – فاستقبلَهُ قائمًا فقال :يا رسولَ اللهِ هَلكَتِ الأموالُ ، وانقطَعتِ السبُلُ ، فادعُ اللهَ يُمسِكها عنا ! قال فرفعَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يديهِ ثم قال : اللّهمّ حَوالَينا ولا علينا . اللّهمّ عَلَى الآكامِ والظرابِ وبُطونِ الأوديةِ ومَنابتِ الشجر . قال : فأَقلعَتْ ، وَخرجْنا نمشي في الشمسِ [2] .

٤ - وبالدعاء يُستخرج مكنون عبودية الدعاء والتضرع لله سبحانه والذلّ بين يديه

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : من لم يَدْعُ اللهَ غضب اللهُ عليه [3] .

وما ذلك إلا لأن العبد مفتقر إلى الله في جميع أحواله ، فمن ترك الدعاء فقد استغنى عن الله بلسان حاله ، وهذا موجبٌ لغضب الله عليه .

اللهُ يغضبُ إن تركتَ سؤالَه وبُنيّ آدمَ حينَ يُسألُ يغضبُ

ولذا كانت عائشة – ﵂ – تقول : سلوا الله التيسير في كل شيء ، حتى الشسع في النعل ، فإنه إن لم يُيسره الله لم يتيسر [4] .

---

(١) أي : أسبوعا كاملا . وفي رواية للبخاري (سِتّا) . وانظر – غير مأمور – فتح الباري (٢/٥٨٥) .

(٢) رواه البخاري في كتاب الاستسقاء . باب الاستسقاء في المسجد الجامع ، وفي باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة (٢/١٦) ومسلم في كتاب الاستسقاء (٢/٦١٢) .

(٣) رواه (٢/٤٤٣) وفي الترمذي (٥/٤٥٦) وفي الأدب المفرد (ص ٢٤٦ صحيح الأدب) وعند ابن ماجه (٤/٢٦١) . وهو حديث حسن .

(٤) رواه أبو يعلى في المسند (٨/٤٤) وابن أبي عاصم في الزهد (ص ٢٠٣) والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٢) واللفظ له . وأورده الألباني في الضعيفة (٣/٥٤٠ ح ١٣٦٣) وعزاه لأبي يعلى وقال : وهذا سند موقوف جيد ، رجاله رجال مسلم ..

والشسع هو سير النعل .

قال بكر بن عبد الله المزني : ينزل بالعبد الأمر فيدعو الله فيُصرف عنه ، فيأتيه الشيطان فيضعف شكره يقول : إن الأمر كان أيسر مما تذهب إليه [١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : قال بعض السلف : يا ابن آدم . لقد بُورِك لك في حاجة أَكْثَرْتَ فيها مِنْ قَرْعِ باب سيِّدك .

وقال بعض الشيوخ : إنه ليكون لي إلى الله حاجة فأدعوه ، فيفْتَح لي من لذيذ معرفته وحلاوة مناجاته ما لا أحبّ معه أن يُعجّل قضاء حاجتي خشية أن تنصرف نفسي عن ذلك ؛ لأن النفس لا تريد إلا حظّها فإذا قُضْيَ انْصَرَفَتْ [٢] .

قال ابن القيم – رحمه الله – :

فإذا كان كلُّ خيرٍ أصله التوفيق ، وهو بيد الله لا بِيَدِ العبد ، فمفتاحه الدعاء والافتقار وصِدقِ اللجأ والرغبة والرهبة إليه ، فمتى أَعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له ... وما أُتِي من أُتِي ، إلا من قِبل إضاعةِ الشكر وإهمالِ الافتقار والدعاء ، ولا ظَفِرَ من ظَفِر – بمشيئة الله وعونه – إلا بقيامه بالشكر وصدق الافتقار والدعاء [٣] .

وقال أيضا :

ليس العجب من مملوك يتذلل لله ويتعبّد له ، ولا يمل من خدمته مع حاجته وفقره إليه ، إنما العجب من مالك يتحبّب إلى مملوكه بصنوف إنعامه ويتودد إليه بأنواع إحسانه ، مع غناه عنه

كفى بك عزًّا أنك له عبد وكفى بك فخرًا أنه لك رب [٤] .

وقال ابن رجب – رحمه الله – : واعلم أن سؤالَ اللهِ تعالى دون خلقه هو المتعيّن ؛ لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار ، وفيه الاعتراف بقدرة المسؤول على دفع

---

(١) نقله عنه ابن القيم – رحمه الله – في عِدة الصابرين (ص ١٠٥) .

(٢) مجموع الفتاوى (٣٣٣/١٠) .

(٣) الفوائد (ص ١٣٠) .

(٤) الفوائد (ص ٦٣) .

هذا الضرر ، ونيلِ المطلوب ، وجلبِ المنافع ، ودرء المضارّ ، ولا يصلح الذل والافتقار إلا الله وحده ، لأنه حقيقة العبادة [١] .

وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : الدعاء هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له ، وما شُرِعَتْ العبادات إلا للخضوع للباري وإظهار الافتقار إليه [٢] .

٥ - (ومما يدل على فضله) أن الله يُحب الدعاء ، ويُحب الملحِّين فيه

كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدعو الله كثيرا ، ويُلحّ في الدعاء .

روى ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال – وهو في قُبَّةٍ له يوم بدر – : أنشدك عهدك ووعدك . اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدًا . فأخذ أبو بكر بيده وقال : حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك [٣] .

وعن أنس بن مالك – ﷺ – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام [٤] .

قال ابن الأثير : معنى أَلِظوا : الزموه ، واثبتوا عليه ، وأكثروا من قوله والتلفظ به ... وفي حديث رَجْم اليهودي ، فلمَّا رآه النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم أَلَظَّ به النِّشْدَة . أي ألَحَّ في سُؤاله وألزمَه إيَّاه [٥] .

وقد أثنى الله على خليله إبراهيم بأنه أوّاه ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤] .

قال ابن مسعود – ﷺ – : الأواه : الذي يُكثر الدعاء [١] .

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/٤٨١) .

(٢) فتح الباري (١١/٩٨) .

(٣) رواه البخاري . كتاب الجهاد والسير . باب ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم والقميص في الحرب ... (٣/٢٣٠) وفي مواضع أُخَر .

(٤) سيأتي تخريجه بعون الله وتوفيقه .

(٥) النهاية في غريب الحديث (٤/٢٥٢) .

قال عطاء : قال لي طاووس : يا عطاء لا تُنْزِلَنّ حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه وجَعَل عليها حُجَّابه ، ولكن أنْزِلها بِمَن بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة ؛ أمرك أن تدعوه وضَمِن لك أن يَستجيب لك [٢] .

وقال ابن رجب : والله سبحانه يحبُّ أن يُسأل ، ويُرغبُ إليه في الحوائج ، ويُلِحُّ في سؤاله ودعائه ، ويغضب على من لا يسأله ، ويستدعي من عباده سؤالَه ، وهو قادر على إعطاء خلقه كلهم سؤلهم من غير أن ينقص من ملكه شيء ، والمخلوق بخلاف ذلك ، يكره أن يسأل ويحب أن لا يسأل ؛ لعجزه وفقره وحاجته ، ولهذا قال وهب بن منبه – لرجل كان يأتي الملوك – : ويحك تأتي من يغلق عنك بابَه ، ويظهر لك فَقْرَه ، ويواري عنك غناه ، وتدع من يفتح لك بابه نصف الليل ونصف النهار ، ويظهر لك غناه ، ويقول ادعني أستجب لك . وقال طاووس لعطاء : إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق بابه دونك ، ويجعل دونها حجّابَه ، وعليك بمن بابُه مفتوح إلى يوم القيامة ، أمرك أن تسألَهُ ، ووعدك أن يجيبَك [٣] .

٦ - بالدعاء تُفرّجُ الشّدّائد ، وتُنفّسُ الكُرب

فكم سمعنا عمن أُغلقت في وجهه الأبواب ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، ثم طَرَقَ باب مسبب الأسباب ، وألحّ على الله في الدعاء ، ورفع إليه الشكوى ، وبكى فَفُتِحَتْ له الأبواب ، وانفرج ما به من شِدّة وضيق .

ألم تسمع قصة أولئك الثلاثة الذين دخلوا غارًا فأغْلَقَتْ عليهم الباب صخرةٌ عظيمة ، فما كان منهم إلا أن دعوا الله بصالح أعمالِهم وأخلصِها ، فانفرجت الصخرةُ وخرجوا يمشون [٤]

---

(١) رواه عنه ابن أبي شيبة (٣٢٩/٦) وابن جرير في التفسير (٤٧/١١ – ٥١) ، وروى غيره من الأقوال ، ثم قال: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله عبد الله بن مسعود الذي رواه عنه زِرّ : أنه الدَّعَّاء . وقارن بما في صحيح البخاري (٢١٢/٥) .

(٢) صفة الصفوة ، ابن الجوزي (٤٥٤/١) .

(٣) جامع العلوم والحكم (٤٨١/١) .

(٤) انظر – غير مأمور – قصة الثلاثة في صحيح البخاري . كتاب الإجارة . باب من استأجر أجيرا فترك أجره ... (٥١/٢) ومسلم . كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٠٩٩/٤) من حديث ابن عمر – ﷺ – .

٧ - وبالدعاء يُستنـزلُ النصر من الله العلي القدير

فالمؤيد بالوحي – عليه الصلاة والسلام – كان يجتهد في استنزال النصر بالدعاء .

فعن عَبْد اللهِ بْن عَبّاسٍ قال : حَدّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ قال : لَمّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلاَثُمِائةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً فَاسْتَقْبَلَ نَبِيّ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم الْقِبْلَةَ ثُمّ مَدّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبّهِ : اللّهُمّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي . اللّهُمّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي . اللّهُمّ إنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ ، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، حَتّىَ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَ هُ فَأَلْقَاهُ عَلَىَ مَنْكِبَيْهِ ، ثُمّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ : يَا نَبِيّ اللهِ كَذَاكَ مُنَاشَدَتَكَ رَبّكَ [(١)] فَإنّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزّ وَجَلّ : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] [(٢)]

فاستجاب الله دعاء نَبِيّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ونصره على أعدائه .

وسيأتي مزيد بيان لهذا الحديث في أكثر من موضع ، وسيأتي تخريجه .

وذكر الله في صفات عباد الرحمن أنهم يدعونه بقولهم : ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ **[الفرقان: ٧٤] .**

وختم السورة بقوله : ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ﴾ **[الفرقان: ٧٧]**

يعني : أيّ عبء يعبأ بكم ، وأيّ مبالاة يُبالي ربي بكم لولا دعاؤكم وعبادتُكم [(٣)] .

٨ - والدعاء سلاح المؤمن ، به يُقاتِل ، وبه يُدافع

ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يجتهد في الدعاء قبل الحرب ، كما في حديث ابن عباس ، المتقدم آنفًا .

---

(١) وفي رواية لمسلم (كفاك مناشدتك ربك) ، وهي كذلك في المسند (٣٢/١) وغيره ، ويُنظر شرح النووي على مسلم (٤٣٤/١٢) .

(٢) رواه البخاري . كتاب المغازي .باب قول الله تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّيّ مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ ... الآيات (٤/٥). ومسلم . كتاب الجهاد والسير (١٣٨٤/٣)

(٣) ويُنظر لذلك تفسير القرطبي (٨٤/١٣) ، وذكر ابن جرير (٥٥/١٩) أقوالاً أخرى ، فليُراجع .

وكان المسلمون إذا أرادوا القتال يوم الجمعة أخّروا بدء القتال حتى تزول الشمس ، ويصعد الأئمة المنابر ، ويدعون للمجاهدين بالنصر .

قال الإمام البخاري : باب كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا لم يقاتل أول النهار أخّرَ القتال حتى تزول الشمس [1] ثم أورد تحته حديث عبد الله بن أبي أوفى – ﷺ –

قال عبد الله بن أبي أوفي – رضي الله عنهما – : إن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس ، ثم قام في الناس خطيبا قال : أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ، ثم قال : اللهم مُنزِل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم .

وعن النعمان بن مقرن – ﷺ – قال : غزوت مع النبي صلى الله عليه على وسلم ، فكان إذا طلع الفجر أمسك حتى تطلع الشمس ، فإذا طلعت قاتل ، فإذا انتصف النهار أمسك حتى تزول الشمس ، فإذا زالت الشمس قاتل حتى العصر ، ثم أمسك حتى يُصلي العصر ، ثم يُقاتل . قال : وكان يُقال عند ذلك تهيج رياح النصر ، ويدعو المؤمنون لجيوشهم في صلاتهم [2] .

---

(١) صحيح البخاري . كتاب الجهاد والسير (٩/٤) ، وحديث عبد الله بن أبي أوفى الآتي في الموضع نفسه . ورواه مسلم (ح ٤٥٦٣) .

(٢) رواه – مختَصَرًا – أحمد (٤٤٤/٥) وأبو داود (٤٩/٣) والنسائي في الكبرى (١٩١/٥) دون الجملة الأخيرة منه ، وهو بتمامه في جامع الترمذي (٤/ ١٥٩) وقال الترمذي : وقد روي هذا الحديث عن النعمان بن مقرن بإسناد أوصل من هذا ، وقتادة لم يدرك النعمان بن مقرن ، ومات النعمان بن مقرن في خلافة عمر .

قال مُقيِّده – عفا الله عنه – : قد رواه من تقدّم ذكرهم من غير طريق قتادة عدا الترمذي ، فإنهم رووه عن معقل بن يسار أن النعمان بن مقرن قال . فَذَكَرَه .

تنبيه : وقع في بلوغ المرام (ح ١٢٩٦) عن معقل بن النعمان بن مقرن – ﷺ – .

وتعقبه الصنعاني في السبل (٢٥٩/٧) بقوله : فما أظن لفظ معقل إلا سبق قلم ، والشارح وقع له أنه قال : هو معقل بن النعمان بن مقرن المزني ، ولا يخفى أن النعمان هو ابن مقرن ، فإذا كان له أخ فهو معقل بن مقرن لا ابن النعمان . قال ابن الأثير : إن النعمان هاجر ومعه سبعة إخوة له . يُريد أنهم هاجروا كلهم معه ، فراجعت التقريب للمصنف ، فلم أجد فيه صحابيا يُقال له : معقل بن النعمان ، ولا ابن مقرن بل فيه النعمان بن مقرن ، فتعيّن أن لفظ معقل في نسخ بلوغ المرام سبق قلم ، وهو ثابت فيما رأيناه من نسخه . انتهى كلامه .

قلت : السبب في ذلك أنه من رواية معقل بن يسار عن النعمان بن مقرن . فلعله خطأ من النُّسّاخ .

وفي رواية قال : شهدت القتال مع رسول الله ﷺ فكان إذا لم يُقاتل في أول النهار انتظر حتى تهب الأرواح ، وتحضر الصلوات [١] .

٩- والدعاء سهامُ الليل ، وهي سهامٌ لا تُخطئ

قال الإمام الشافعي – رحمه الله – :

أتهزأُ بالدعاء وتَزْدَرِيه وما تدري بما صنع الدعاء

سهامُ الليل لا تُخطئ ولكن لها أمدٌ وللأمدِ انقضاء

فيمسكها إذا ما شاء ربي ويرسلها إذا نَفَذَ القضاء

قال ابن القيم : والدعاء من أنفع الأدوية ، وهو عدو البلاء ، يُدافعه ويعالجه ، ويمنع نزولَه ، ويرفعه أو يُخَفِّفه إذا نزل ، وهو سلاح المؤمن ...

وله – أي الدعاء – مع البلاء ثلاث مقامات :

أحدها : أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه .

الثاني : أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء ، فيُصاب به العبد ، ولكن قد يخففه ، وإن كان ضعيفا .

الثالث : أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه [٢] .

١٠ - والدعاء من أعظم أسباب الهداية

ولذا كان من دعائه – عليه الصلاة والسلام – : اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى [٣] .

وعلّم رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سبطه الحسن بن عليّ – رضي الله عنهما – أن يدعو بهذا الدعاء في الوتر : اللهم اهدني فيمن هديت [٤] .

---

(١) أخرجه البخاري . كتاب الجزية والموادعة . باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب ... (٦٣/٤) .

(٢) الجواب الكافي (الداء والدواء) (١٠ ، ١١) .

(٣) رواه مسلم من حديث ابن مسعود . كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٠٨٧/٤) .

(٤) حديث صحيح : رواه أحمد (١٩٩/١) أبو داود (٦٣/٢) والترمذي (٣٢٨/٢) والنسائي (٢٧٥/٣) وابن ماجه (٤٩/٢ ، ٥٠) وابن خزيمة (١٥١/٢) وابن حبان (٢٢٥/٣ إحسان) والحاكم (١٠٨/٣) وصححه على شرط الشيخين .

قال ابن القيم : العجب ممن تعرض له حاجة فيَصرف رغبته وهمَّته فيها إلى الله ليقضيها له ، ولا يتصدّى للسؤال لحياة قلبه من موت الجهل والإعراض ، وشفائه من داء الشهوات والشبهات ، ولكن إذا مات القلب لم يشعر بمعصيته [1] .

وفوائدُ الدُّعاء عظيمة لمن تأملها .

ولكن أين مَنْ يَمُدّ يديه ؟

(١) الفوائد (١٤٧) .

رابعًا : كيف يكون الدعاء مستجابًا ؟

ثمّة أمور وآداب وأحوال ليست واجبة كلّها ، فمنها ما هو واجب ، ومنها ما هو مسنون مستحبّ ، ومنها ما هو واجب التّرك .

فإذا تأدّب العبد بآداب الدعاء كان ذلك أحرى وأدعى للإجابة .

ومن آداب الدعاء :

١ - الإخلاص لله تبارك وتعالى

قال الله – عز وجل – : ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩]

وقال – ﷻ – : ﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥]

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – : ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي موحدين له مُقِرّين بأنه لا إله إلا هو [(١)] .

وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : وقد دلّت الآية المذكورة أن الإجابة مشترطة بالإخلاص [(٢)] .

والإخلاص في اللغة ترك الرياء في الطاعة .

وعرفًا تخليص القلب من كل شوب يكدر صفاءه ، وكل ما يتصور أن يشوب غيره [(٣)] .

فيستلزم الإخلاص في الدعاء تعلّق القلب بالله والافتقار إليه ، واستشعار أنه لا غنى له طرفة عين عن مولاه .

وسيأتي لاحقا – إن شاء الله – أن الدعاء لا يُستجاب مِن قلب غافلٍ لاهٍ ، وأن على الداعي أن يَعْزِم المسألة .

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٨٨/٤)

(٢) فتح الباري (٩٨/١١)

(٣) يُنظر لذلك النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٦١/٢) ولسان العرب لابن منظور(٢٦/٧) والتعريفات للجرجاني (٢٨/١) والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٤٣/١)

قال ابن القيم – رحمه الله – : لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار ، والضب والحوت ، فإذا حدّثتك نفسك بطلب الإخلاص فأقْبِلْ على الطمع أولاً فأذبحه بسكين اليأس ، وأقْبِل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة ، فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص ، فإن قلت وما الذي يسهل علي ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح قلت أما ذبح الطمع فيسهله عليك علمك يقينا أنه ليس من شيء يطمع فيه إلا وبيد الله وحده خزائنه لا يملكها غيره ولا يؤتي العبد منها شيئا سواه وأما الزهد في الثناء والمدح فيسهله عليك علمك أنه ليس أحد ينفع مدحه ويزين ويضر ذمه ويشين الا الله وحده [1] .

٢ - رفع اليدين

روى مسلم من حديث أنس – ﷺ – قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يرفعُ يديه في الدعاء ، حتى يُرى بياضُ إبطيه [2] .

وهذا يدلّ على شدة رفع اليدين في الدعاء .

وفي حديث أبي موسى قال : ثم رفعَ يدَيهِ فقال : اللهمّ اغفرْ لعُبَيدٍ أبي عامر ، ورأيتُ بياضَ إبطيْه [3] .

وعن مَالِكِ بنِ يَسَارٍ السّكُونِيّ ثُمّ الْعَوْفِيّ أَنّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : إذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ ببُطِونِ أَكُفّكُمْ ، وَلاَ تَسْأَلُوهُ بِظُهُورِهَا [1] .

---

(١) الفوائد (١٨٧ ، ١٨٨)

(٢) كتاب صلاة الاستسقاء (٦١٢/٢) .

ورواه البخاري . كتاب الاستسقاء . باب رفع الإمام يده في الاستسقاء ، ولفظه عنده : لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء ، وإنه يرفع حتى يرى بياض إبطيه .

وسيأتي في حديث أبي موسى خلاف ذلك ، فيُقال في ذلك : إن أنسا – ﷺ – حدّث بما علِم ، وأبو موسى – ﷺ – حدّث بما علِم .

قال الحافظ ابن حجر – بعد أن أشار إلى بعض الأحاديث الواردة في رفع اليدين – : فيتعين حينئذ تأويل حديث أنس أنه أراد الرفع البليغ بدليل قوله : "حتى يُرى بياض إبطيه " (التلخيص الحبير ٢٥١/١) .

(٣) سيأتي بتمامه ويأتي تخريجه أيضا .

وفي حديث أنس وقصة دخول الأعرابي قال : فرفعَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدَيهِ ثم قال : اللّهمّ أغثْنا . اللّهمّ أغثْنا . اللهمّ أغثنا [٢] .

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم : ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم:٣٦] ، وقال عيسى عليه السلام : ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨] ، فرفع يديه وقال : اللهم أمتي أمتي ، وبكى ، فقال الله – عز وجل – : يا جبريل اذهب إلى مُحَمَّد – وربك أعلم – فَسَلْهُ ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل – عليه الصلاة والسلام – فسأله ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بما قال – وهو أعلم – ، فقال الله : يا جبريل اذهب إلى مُحَمَّد فقل : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءُك [٣] .

قال الإمام النووي – رحمه الله – : هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد منها استحباب رفع اليدين في الدعاء ... [٤] .

وعن أَبي هُرَيْرَةَ قال : أَقْبَلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَدَخَلَ مَكّةَ ، فأَقْبَلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى الْحَجَرِ فَاسْتَلَمَهُ ثُمّ طَافَ بالْبَيْتِ ، ثُمّ أَتَى الصّفَا فَعَلاَهُ حَيْثُ يَنْظُرُ إِلَى الْبَيْتِ فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَذْكُرُ الله – عز وجل – مَا شَاءَ أَنْ يَذْكُرَهُ وَيَدْعُوهُ [١] .

---

(١) حديث حسن : رواه أبو داود (٧٨/٢) والطبراني في مسند الشاميين (٤٣٢/٢)وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤١٠/٤) وأما حديث " اذا سألتم الله فسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها ، وامسحوا بها وجوهكم " فقد فقال فيه أبو داود بعد أن رواه (٧٨/٢) : روي هذا الحديث من غير وجه عن مُحَمَّد بن كعب كلها واهية وهذا الطريق أمثلها وهو ضعيف أيضا ، وأشار البيهقي في السنن الكبرى (٢١٢/٢) إلى ضعفه بعد أن نقل قول أبي داود ، وقال ابن أبي حاتم في العلل (٣٥١/٢) : هذا حديث منكر .

(٢) تقدم بتمامه ١٤

(٣) كتاب الإيمان (١٩١/١) وهذا لفظه عند مسلم دون سقط . قال الإمام النووي – رحمه الله – : وقال عيسى ﷺ : (إن تعذبهم فانهم عبادك) هكذا هو في الأصول " وقال عيسى " قال القاضي عياض : قال بعضهم قوله : قال ، هو اسم للقول ، لا فعل . يُقال : قال ، وقيلا ، كأنه يقال : وتلا قول عيسى . هذا كلام القاضي عياض . المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٤٣٨/٣)

(٤) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٤٣٨/٣)

وتقدّم حديث عمر ﷺ – في صفةِ دعائه صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم بدر – وفيه : فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبّهِ : اللّهُمّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي ، اللّهُمّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي اللّهُمّ إنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ ، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حتى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ [٢] .

ولرفع اليدين فائدة عظيمة ، حيث يستحي ربُّك أن يردّهما صفرا . فقد ثبت من حديث سلمان – ﷺ – أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إِنّ رَبّكُمْ تَبَارَكَ وتعَالى حَيِيّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدّهُما صِفْرًا خائبتين [٣] .

والأحاديث في رفع اليدين عند الدعاء بلغت حد التواتر المعنوي .

٣ ـ الوُضوء لمن أراد الدعاء

الوضوء لمن أراد الدعاء مُستحب ، وهو من آداب الدعاء .

فعن أبي موسى – ﷺ – قال : لما فَرَغَ النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم من حُنين بَعثَ أبا عامر على جيشٍ إلى أوطاس فلقيَ دُرَيدَ بن الصّمّة ، فقُتِلَ دُرَيدٌ ، وهَزَمَ اللّهُ أصحابه . قال أبو موسى : وَبَعثني [٤] مَعَ أبي عامر ، فرُميَ أبو عامرٍ في ركبتِهِ ، رَمَاه جُشَميّ بسهمٍ فأثبَتَهُ في رُكبتِهِ ، فانتهيتُ إليهِ فقلتُ : يا عمّ مَن رماكَ ؟ فأشارَ إلى أبي موسى ، فقال : ذاك قاتلي الذي رماني ، فَقَصَدتُ له فلحِقته ، فلما رآني وَلّى ، فاتّبَعْتُه ، وجعلت أقولُ له : ألا تَستحي ! ألا تثبت فكفّ ، فاختَلفنا ضربتَين بالسيف فقتلتُهُ ، ثم قلتُ لأبي عامر : قَتَل اللّهُ صاحبَك . قال : فانزع هذا السهمَ فنزَعتُه فنزا منهُ الماء [٥] قال : يا ابنَ أخي أقرئ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم السلامَ ، وقُلْ له :

---

(١) حديث صحيح : رواه أحمد (٥٣٨/٢) وأبو داود (١٧٥/٢) وابن خزيمة (٢٣٠/٤) .

(٢) تقدم الحديث بتمامه وتخريجه ص ١٨

(٣) حديث حسن : رواه الإمام أحمد (٤٣٨/٥) والترمذي (٥٥٦/٥) وحسّنه ، وأبو داود (٧٨/٢) وابن ماجه (٢٨٢/٤) وابن حبان (١٦٠/٣) ، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٤٣/١١) : سنده جيد .

(٤) أي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٥) أي جرى ولم ينقطع .

استغفِرْ لي . واستَخلَفني أبو عامرٍ على الناس ، فمكثَ يسيرًا ثم مات ، فرجَعتُ فدخلت على النبيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم في بيتِهِ على سريرِ مُرمَلٍ [١] وعليه فِراشٌ قد أثّرَ رِمالُ السريرِ في ظهرِهِ وَجَنبَيه ، فأخبرتُهُ بخبرِنا وخبرِ أبي عامر . وقلت له : قال : قُل له يستغفرْ لي ، فدَعا بماءٍ فتوضّأَ ، ثم رفعَ يدَيهِ ثم قال : اللهمّ اغفرْ لعُبَيدٍ [٢] أبي عامر ، ورأيتُ بياضَ إبطيْه [٣] ثمّ قال : اللهمّ اجعَلْهُ يومَ القيامةِ فوق كثيرٍ من خلقِكَ من الناس ، فقلتُ : وَلِي فاستغفرْ فقال : اللهمّ اغفر لعبدِ اللهِ بن قَيس [٤] ذَنْبَه وأدخلْه يومَ القيامة مُدخَلاً كريمًا .

قال أبو بُردَةَ : إحداهما لأبي عامرٍ ، والأُخرى لأبي موسى [٥] .

٤ ـ استقبال القبلة

عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ – ﷺ – في صفة حجة الوداع – قال : ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات ، وجعل جبل المشاة بين يديه ، واستقبل القبلة ، فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس ... قال : ثُمّ ركبَ [٦] القصواء [٧] حتّى

---

(١) أي منسوج ومسفوف .

(٢) هو عبيد بن سليم بن حضار الأشعري ، وهو عم أبي موسى – رضي الله عنهما – أفاده ابن حجر . (فتح الباري ٨/٤٢)

(٣) وهذا يدل على شدة رفع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يديه ، وانظر – غير مأمور – (ص ٢٣) من هذا الكتاب .

(٤) هذا اسم أبي موسى الأشعري ، وهو – ﷺ – قد اشتهر بلقبه :(أبي موسى الأشعري) ، وأبو بردة ابنه الراوي عنه

(٥) رواه البخاري . كتاب المغازي. باب غزوة أوطاس (٥/١٠١) ومسلم .كتاب فضائل الصحابة (/١٩٤٣).
وقول أبي بردة : إحداهما لأبي عامرٍ ، والأُخرى لأبي موسى . يعني إحدى الدعوتين لأبي عامر ، وهي " اللهمّ اجعَلْهُ يومَ القيامةِ فوق كثيرٍ من خلقِكَ من الناس " ، والأخرى لأبيه أبي موسى ، وهي " اللهمّ اغفر لعبدِ اللهِ بن قَيس ذَنْبَه ، وأدخلْه يومَ القيامة مُدخَلاً كريمًا " .

(٦) أي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٧) هذا اسم ناقة للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وهي غير العضباء ، فقد ثبت في صحيح البخاري من حديث أنَس – ﷺ – قال : كانت ناقةُ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُقالُ لها العَضْباءُ .

حتّى وقفَ على المَشعرِ الحرامِ واستقبلَ القبلةَ فدعا اللهَ وكبّرَهُ وهلّلَهُ ووحّدَهُ ، فلم يزل واقفًا حتى أسفر جدًا [١] .

وهذا في أعظم مواطن الدعاء ، في عرفة وعند المشعر الحرام .

وعن عبّادِ بنِ تميم عن عمّهِ قال : رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم خَرجَ يَستسقي قال : فحوّلَ إلى الناسِ ظهرَهُ واستَقبلَ القِبلةَ يدعو [٢] .

وفي صفة دعاء النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم بدر : فَاسْتَقْبَلَ نَبِيّ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم الْقِبْلَةَ ثُمّ مَدّ يَدَيْهِ [٣] .

٥ ـ البدء بالثناء على الله ، ثم الصلاةِ على النبيّ ﷺ قبل الدعاء

عن عبدِ الله بن مسعود – ﷺ – قال : كُنْتُ أُصَلّي والنبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأبُو بكرٍ وعُمَرُ معه ، فلما جَلَسْتُ بَدَأْتُ بالثناءِ على الله ، ثم الصّلاةِ على النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ثم دَعوْتُ لنَفْسِي ، فقال النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : سَلْ تُعْطَهْ . سَلْ تُعْطَهْ [٤] .

وعن فَضَالَةَ بنَ عُبَيْدٍ صَاحِب رَسُولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : سَمِعَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم رَجُلاً يَدْعُو في صَلاَتِهِ لَمْ يُمَجّدِ الله وَلَمْ يُصَلّ عَلَى النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : عَجِلَ هَذَا . ثُمّ دَعَاهُ فَقَالَ – لَهُ أوْ لِغَيْرِهِ – : إذا صَلّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبّهِ وَالثّنَاءِ عَلَيْهِ ، ثُمّ يُصَلّي عَلَى النّبيّ ﷺ ، ثُمّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شاء [٥] .

---

(١) رواه مسلم . كتاب الحج (٢/٨٩١) .

(٢) رواه البخاري .كتاب الاستسقاء . باب كيف حوّل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ظهره إلى الناس (٢/٢٠) ومسلم كتاب صلاة الاستسقاء (٢/٦١١) .

وعباد بن تميم يروي عن عمه ، وعمه هو : عبد الله بن زيد بن عاصم المازني – ﷺ – .

(٣) تقدم الحديث بتمامه وتخريجه (ص ١٨) .

(٤) حديث حسن : رواه الترمذي (٢/٤٨٨) وقال : حسنٌ صحيحٌ . ورواه الحافظ الضياء في المختارة (١/٩٣) وأخرجه بنحوه : الإمام أحمد (١/٣٨٦) وابن خزيمة (٢/١٨٦) وابن حبان (٥/٣٠٣ إحسان) والحاكم (٢/٢٤٦) والنسائي في الكبرى (٥/٧١)

(٥) حديث صحيح : رواه أحمد (٦/١٨) وأبو داود (٢/٧٧) والترمذي (٥/٥١٧) وابن خزيمة (١/٣٥١) والحاكم (١/٣٥٤) وصححه على شرط مسلم ، ورواه ابن حبان (٥/٢٩٠ إحسان) .

قَالَ النَّوَوِيُّ فِي " الأذكار " [1] : أَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَى اسْتِحْبَابِ ابْتِدَاءِ الدُّعَاءِ بِالحَمْدِ لِله تَعَالَى ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ الصَّلاةِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَذَلِكَ يَخْتِمُ الدُّعَاءَ بِهِمَا .

٦ ـ التضرع والإخبات لله جل وعلا ، والانكسار بين يديه

قصّ الله تبارك وتعالى خبر أيوب – عليه الصلاة والسلام – فقال : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤] .

وقد سُئل ابنُ عباسٍ عن استسقاءِ رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : إن رسولَ صلى الله عليه وعلى آله وسلم خَرَجَ مُتَبَذِّلاً مُتَوَاضِعًا مُتَضَرِّعًا ، حتى أَتَى المُصَلّى ، فلم يَخْطُبْ خُطْبَتكم هذِهِ ، ولكن لم يزَل في الدعاءِ والتَضَرّعِ والتكبيرِ ، وصلّى ركعَتْينِ كما كانَ يصَلّي في العيدِ[2].

ومِن هُنا اختلف خروجه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لصلاة الاستسقاء عن خروجه لصلاة العيد ؛ لأن المقام – في الاستسقاء – مقام تذلل لا مقام تجمّل ، ومقام الدعاء في عرفة مقام تخشّع وتذلل ، بينما يوم العيد يوم فرح وتجمّل .

ويدخل في التذلّل : فعل بعض السلف عند خروجهم للاستسقاء ، فقد كان بعضهم يحثو التراب على رأسه ، ويخرج متخشّعًا .

أو يضع التراب على رأسه عند الدعاء تخشعا وتذلُّلا .

فعن عقبة بن عامر – ﷺ – قال : لَمَّا طلق رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر ، فبلغ ذلك عمر ، فَوَضَعَ التراب على رأسه وجعل يقول : ما يعبأ الله بعمر بعد هذا . فنزل جبريل من الغد على رسول الله ﷺ فقال : إن الله تعالى يأمرك أن تُرَاجِع حفصة رحمة لِعُمَر [3] .

---

(١) ص (١١٧) .

(٢) حديث حسن : رواه أحمد (٣٥٥/١) وأبو داود (٣٠٢/١) والترمذي (٤٤٥/٢) وقال :حسنٌ صحيحٌ . والنسائي (١٥٦/٣) .

(٣) رواه بهذا اللفظ : الطبراني (ح ٨٠٤) وأبو نُعيم في الحلية (٥١/٢) ، وقال الهيثمي (٢٤٤/٩) : رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ عَمْرُو بْنُ صَالِحٍ الْحَضْرَمِيُّ وَلَمْ أَعْرِفْهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَات .

٧ ـ الاعتراف بالذنب :

الاعتراف بالذّنب أقرب إلى العفو ، ومن تأمل كتاب الله وجد إجابة دعوات بعض الأنبياء قُرِنت بالاعتراف بالذنب .

فهذا أبو البَشر – عليه الصلاة والسلام – وزوجه يعترفان : (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) **[الأعراف:٢٣]**

وتكون العاقبة : (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى) **[طه:١٢٢]**

وذاك نبي الله داود الذي استغفر (رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ) **قال الله ﷻ** : (فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ) **وزيادة** (وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ) .

وذاك ابنه سليمان الذي تاب وأناب (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ)

فوهب له ربُّه ملكا عظيما ، وسخّر له الريح ، والجن ، والطير .

وذاك القوي الأمين قال بعد أن قتل نفسًا قَال : (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) **[القصص:١٦]**

ودعوة ذي النون إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ تضمنت الإقرار والاعتراف ، قال سبحانه : **(وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) والجواب** : (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) **وزيادة** (وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ) **وهذه عادة الله في أوليائه** (وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ) **[الأنبياء:٨٨،٨٧]**

وانظر ترجمة وضبْط اسم عُلَيّ بن رباح في " الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف " ، ابن ماكولا (٢٥٠/٦) .

وأما قصة تطليقه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لِحفصة – ﷺ – ومُراجعته إياها ، فهي ثابتة ، كما عند أبي داود (٢٨٥/٢) والنسائي (٢١٣/٦) وابن ماجه (٦٥٠/١) عن عمر – ﷺ – .

فنجاه مولاه سبحانه ، وصارت دعوته نبراسًا للمؤمنين .

فعن سَعْد بن أبي وقاص – ﷺ – قال : قَال رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : دَعْوَةُ ذِي النّونِ – إذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ – : لا إلَهَ إلاّ أنْتَ سُبْحَانَكَ إنّي كُنْتُ مِنَ الظّالِمِينَ ، فَإنّهُ لَمْ يَدْعُ بها رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطّ إلاّ اسْتَجَابَ الله لَهُ [1] .

ونادِ إذا سجدتَّ له اعترافًا بما ناداه ذا النون بن متّى

تأمل في مناجاةَ النبيّ عليه الصلاة والسلام ، وهو يُناجي ربّه في دُجى الليل الساكن .

فقد كان من دعائه عليه الصلاة والسلام إذا قام يتهجّد من الليل أن يقول – بعد أن يُثني على الله عز وجلّ بما هو أهلُه – :

اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر . لا إله إلا أنت [2] .

ثم تأملوا هذا الدعاء من أدعيته عليه الصلاة والسلام ، وهو يقول :

اللهم اغفر لي جدي وهزلي ، وخطئي وعمدي ، وكل ذلك عندي [3] .

وكان ﷺ يقول في سجوده :

اللهم اغفر لي ذنبي كلَّه ، دِقَّه وجِلَّه ، وأولَه وآخرَه ، وعلانيتَه وسرَّه [4]

وفي هذا الدعاء الاعتراف بالذنب ، مع أنه – عليه الصلاة والسلام – قد غُفِر له ما تقدّم مِن ذَنبه وما تأخّر .

وقد تقدّم تعليمه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأبي بكر دعاءً يدعوا به في صلاته ، وفيه هذا المعنى [5] .

---

(١) حديث صحيح : رواه أحمد (١٧٠/١) والترمذي (٥٢٩/٥) والنسائي في الكبرى (١٦٨/٦) والحاكم (٦٨٤/١) وصححه ، والضياء في المختارة (٢٣٤/٣) وصححه . وقال الهيثمي في المجمع (٦٨/٧) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن مُحَمَّد بن سعد بن أبي وقاص وهو ثقة . وفي الحديث قصة ، فلتُنظر في المسند والمختارة – في الموضعين السابقين – .

(٢) متفق عليه ، وسيأتي تخريجه (ص ٣٢) .

(٣) هذا اللفظ هو أول حديث أبي موسى – ﷺ – والحديث متفق عليه ، وسيأتي تخريجه (ص ٣٢) .

(٤) رواه مسلم . كتاب الصلاة (٣٥٠/١) .

(٥) انظر – غير مأمور – (ص ٣٢) من هذا الكتاب .

قال سبحانه وبحمده : (وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)[آل عمران:١٥-١٦]

فهذا توسّلٌ بالعمل الصالح وهو الإيمان بالله ، واعتراف بالذنب ، وختمه بالدعاء بالنجاة من عذاب النار .

وكما قيل : سكب العبرات يُقيل العثرات .

فـ :

يا من عدى ثم اعتدى ثم اقترف ثم ارعوى ثم انتهى ثم اعترف

أبشر بقول الله في آياته : (إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ)

٨ - اليقينِ بالإجابة مع حضور القلبِ

القلب هو ملِك الأعضاء ، ولا بُد من حضوره عند سؤال ملِك الملوك سبحانه وتعالى .

وإذا لم يحضر القلب كان الدعاء نوع من العبث .

فعن أبي هُرَيْرة – ﷺ – قال : قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أُدْعُوا الله وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بالإجَابَةِ ، وَاعْلَمُوا أَنّ الله لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ [(١)] .

وبذلك يتبين لك عبث بعض الناس الذين يرفعون أيديهم وقلوبهم لاهية ، فيرفع أحدُهم يديه ويلتفت يمينًا وشمالاً ، ولا يَعِي ما يقول ، وبعضهم اتخذ رفع يديه بعد النافلة وقبل الفريضة عادة ، حتى يرفع بعضهم يديه ولا يقول شيئًا !

قال ابن مسعود – ﷺ – : لا يسمعُ اللهُ من مسمّع ، ولا مراءٍ ، ولا لاعِبٍ ، إلا داعٍ دعا يُثبت من قلبه [(٢)] .

---

(١) حديث حسن : رواه والترمذي (٥١٧/٥) والطبراني في الأوسط (٢١١/٥) والحاكم (٦٧٠/١) وقال : مستقيم الإسناد .

وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو : رواه أحمد (١٧٧/٢) ، وقال الهيثمي (١٤٨/١٠) : رواه أحمد ، وإسناده حسن .

قال مُقيّده – عفا الله عنه – : وفي إسناد أحمد ابن لهيعة ، والحديث حسن بمجموع طرقه .

(٢) حديث صحيح موقوف رواه البخاري في الأدب المفرد ، وقال الألباني : صحيح الإسناد . صحيح الأدب المفرد (ص ٢٢٧).

أي يسمعُ الله دعاءه .

قال مالك بن الحارث : كان ربيع يأتي علقمة . قال : فأتاه ولم يكن ثمة ، فجاء رجل فقال : ألا تعجبون من الناس وكثرة دعائهم وقلة إجابتهم ؟ فقال ربيع : تدرون لم ذاك ؟ إن الله لا يقبل إلا الناخلة من الدعاء ، والذي لا إله غيره لا يسمع الله من مُسمِّع ولا مرائي ولا لاعب ولا داع إلا داعٍ دعا بتثبت من قلبه [1] .

قال يحيى بن معاذ : من جَمَعَ الله عليه قلبَه في الدعاء لم يردّه .

قال ابن القيم معلّقًا على قوله : إذا اجتمع عليه قلبُه ، وصدقت ضرورتُه وفاقتُه ، وقوي رجاؤه ، فلا يكادُ يُردُّ دعاؤه [2] .

٩ ـ ختم الدعاء بما يناسب الحال

وذلك كأن تدعو الله – عز وجل – أن يرزقك رزقًا حسنا فتَخْتِم دعائك بنحو قولك : يا رزاق يا ذا القوة المتين .

وعند طلب المغفرة تختم الدعاء بنحو : ياغافر الذنب ، أو ياغفّار أو يا غفور يا رحيم ، وهكذا

ولذا كان من دعائه صلى الله عليه وعلى آله وسلم : اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به مني . أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر ، وأنت على كل شيء قدير [3] .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٦/٣٤) ، وهي رواية البخاري في الأدب المفرد ، حيث جاء فيها : مالك بن الحارث عن عبد الرحمن بن يزيد قال :كان الربيع ياتى علقمة يوم الجمعة فإذا لم أكن ثمة أرسلوا إليّ ، فجاء مرة ولست ثمة ، فلقيني علقمة وقال لي : ألم تر ما جاء به الربيع ؟ قال : ألم تر أكثر ما يدعو الناس وما أقل إجابتهم ؟ وذلك أن الله عز وجل لا يقبل إلا الناخلة من الدعاء . قلت : أو ليس قال ذلك عبد الله ؟ (يعني ابن مسعود) قال : وما قال؟ قال : قال عبد الله : لا يسمع الله من مسمع ولا من مراء ولا لاعب إلا داع دعا يثبت من قلبه . قال : فذكر علقمة . قال : نعم .

فالذي يظهر أن الربيع وهو ابن خثيم تلقّاه عن ابن مسعود – ﷺ – إذ هو من أخصّ تلاميذه .

(٢) الفوائد . ص (٧٢) .

(٣) رو اه البخاري من حديث ابن عباس (٢/٤١، ٤٢) ، (٧/١٤٨) وأبي موسى الأشعري (٧/١٦٥) . ورواه مسلم من حديث ابن عباس (١/٥٣٢) وأبي موسى الأشعري (٤/٢٠٨٧) ومن حديث علي بن أبي طالب (١/٥٣٥) .

ولما سأل أبو بكر الصديق – ﷺ – رسولَ الله ﷺ فقال : يا رسولَ الله علمني دُعاءً أَدعو به في صلاتي قال : قل : اللهمّ إني ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا ، ولا يَغفرُ الذّنوبَ إلا أنتَ فاغفِرْ لي مغفرةً من عندَك وارحمني إنكَ أنتَ الغفور الرّحيم [١] .

وعلّم رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عائشة – ﷺ – دعاءً تدعو به إن هي وافقت ليلة القدْر أو عَلِمَتْها ، فقال : قُولِي : اللّهُمّ إنّكَ عَفُوّ كريم تُحِبُ العَفْوَ فاعْفُ عَنّي [٢] .

فهذا كله من ختم الدعاء بما يُناسبه من أسماء الله الحسنى .

١٠ ـ الإكْثارِ من الدّعَاءَ في الرّخَاءِ

مَنْ عَرَف الله في الرخاء عَرَفَه في الشِّدّة .

عن أَبي هُرَيْرَةَ – ﷺ – قال : قال رسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : مَنْ سَرّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ لَهُ عِنْدَ الشّدَائِدِ والكُرَبِ ، فَلْيُكْثِرِ الدّعَاءَ في الرّخَاءِ [٣] .

قال أبو الدرداء : مَنْ يُكثر الدعاء في الرخاء يُستجاب له عند البلاء ، ومن يُكثر قَرْع الباب يُفتح له [٤] .

وقال ابن رجب : وفي الجملة ، فَمَنْ عَامَلَ الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه ، عَامَلَهُ الله باللطف والإعانة في حال شدّتِه [٥] .

أخلِق بذي الصبر أن يظفر بحاجته ومُدمن القَرْع للأبواب أن يلِجا

١١ ـ تكرار الدعاء والإلحاح على الله

مَن يُكثر قَرْع الباب يُفتح له ، كما قال أبو الدرداء – ﷺ – .

رواه البخاري . كتاب التهجد . باب التهجد بالليل (٢/٤١ ، ٤٢) واللفظ له ، ومسلم . كتاب صلاة المسافرين وقصرها (١/٥٣٢ ، ٥٣٣) .

(١) رواه البخاري (١/٢٠٣) ومسلم (٤/٢٠٧٨) .

(٢) سيأتي تخريجه . انظر – غير مأمور – (ص ٤٩) من هذا الكتاب .

(٣) حديث حسن : رواه الترمذي (٥/٤٦٢) وأبو يعلى (١١/٢٨٣) والحاكم (١/٧٢٩) .

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧/٢٠٣) .

(٥) جامع العلوم والحكم (١/٤٧٤) .

ومَن ألحّ على الله في الدعاء فإن الله لا يَردّ مَن سأله ، ولا يقطع مَن رجاه ، ولا يخيب مَن أمّله .

وجاء في صفة دعائه صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم بدر أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ، ثُمَّ مَدّ يَدَيْهِ ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبّهِ : اللّهُمّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي ، اللّهُمّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي اللّهُمّ إنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ . فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، حَتّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءهُ ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ، ثُمّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ : يَا نَبِيّ اللّهِ كَذَاكَ مُنَاشَدَتَكَ رَبّكَ ، فَإِنّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ ، فَأَنْزَلَ اللّهُ : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] [(١)] .

وقد اشتمل هذا الحديث على عدة آداب من آداب الدعاء :

أولها : استقبالُ القبلة .

ثانيها : رفع اليدين [مادًّا يديه].

ثالثها : [التضرّع] هتافُه بربه .

رابعها : الإلحاح [فما زال يهتف بربه] .

خامسها : حضورُ قلبِه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، حتى عندما سقط رداؤه لم يشعر به ، بل ردّه عليه أبو بكر – ﷺ – .

هذا وهو المؤيد بالوحي المأمور بغزو القوم : " أغزهم نُغْزِكَ ، وأنفق فَسَنُنْفق عليك ، وابعث جيشًا نبعث خمسة مثله ، وقاتِل بمن أطاعك من عصاك " [(٢)] .

ومع ذلك لم يعتمد على ذلك ، وإنما ألحّ على الله وكرر الدعاء وهتف بربّه .

١٢ ـ عزم المسألة ، وعدم التردد

بمعنى أن يسأل الداعي ربَّه وهو جادٌ في سؤاله ، يسأله مسألة المسكين ، ويبتهل إليه ابتهال المذنب الذليل ؛ ولا يسأله مسألة من يُجرّب ، وكأنه يمتحن ربّه .

قال البيهقي – في فصول في الدعاء – : ومنها أن يكون دعاؤه سؤالا بالحقيقة لا اختبارًا لربه جل ثناؤه ... ومنها أن يَعزم المسألة [(١)] .

---

(١) تقدّم تخريجه (ص ١٨)

(٢) مسلم . كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٤/٢١٩٧) . ومعنى : نُغْزِك : أي نُعينك .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة – ﷺ – أَنّ رَسُولَ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت . اللهم ارحمني إن شئت ليعزم في الدعاء ، فإن الله صانعُ ما شاء لا مُكره له [٢] .

وفي رواية لمسلم : إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلاَ يَقُلِ : اللّهُمّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ ، وَلْيُعَظّمِ الرّغْبَةَ ، فَإِنّ اللّهَ لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ .

وعن أنس – ﷺ – مرفوعًا : إذا دعا أحدكم فليعزم في الدعاء ، ولا يقل اللهم إن شئت فأعطني ، فإن الله لا مستكره له .

ويُخطئ بعض الناس عندما يقرِن الدعاءَ بالمشيئة ، فيقول مثلاً : جزاك الله خيرًا إن شاء الله ، وما أشبه ذلك ، وهذا خطأ .

وذلك لأن من دعا وقَرَنَ دعائه بالمشيئة فهو بين أمرين :

- إما أن يكون الداعي غير محتاج لما سأل .
- وإما أن يكون المسؤول غير مقتدر على تلبية السؤال ، فيخشى أن يُوقعه في الحرج ، فيقول : أعطني كذا إن شئت .

وكل من الأمرين مُنْتَفٍ في حق الله تبارك وتعالى .

قال علماؤنا : قوله : " فليعزم المسألة " دليل على أنه ينبغي للمؤمن أن يجتهد في الدعاء ، ويكون على رجاء من الإجابة ، ولا يقنط من رحمة الله ؛ لأنه يدعو كريما [٣] .

١٣ - الإكْثارِ من ذِكرِ الله تبارك وتعالى

مَنْ ذَكَرَ الله ذَكَره الله ، إذ الجزاء من جنس العمل .

ومَنْ أكثر من ذِكر الله كان قريبا من الله مُحبًا له ، إذ أن من أحبّ شيئا أكثر مِن ذِكره ، ومَن أحبّه الله أكرمه .

---

(١) شعب الإيمان (٢/٤٣– ٤٥) .

(٢) رواه البخاري .كتاب الدعوات . باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له (٧/١٥٣) . ورواه مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٤/٢٠٦٣) والرواية الثانية في الموضع نفسه .

وحديث أنس – الآتي بعده – في الموضعين نفسيهما .

(٣) من كلام القرطبي في التفسير (١/١٢٧) .

فعن أَبي هُرَيْرة – ﷺ – أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : ثلاثة لا يَردُّ الله دعاءَ هم : الذاكر الله كثيرًا ، والمظلوم ، والإمام المقسط [١] .

وذِكر الله مِن أحب الأعمال إلى الله – عز وجل –

قال – عليه الصلاة والسلام – : ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى . قال : ذكر الله تعالى [٢] .

فإذا كان ذِكْر الله له هذه المنزلة فهو من أفضل النوافل [٣] ، وقد قال – عليه الصلاة والسلام – : وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه [٤] .

فإذا أحبّ الله عبدًا استجاب دعاءه ، وأعطاه مسألته .

١٤ ـ ختم الدعاء بالصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم

فوائد الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كثيرة عظيمة النفع ، وقد قَرَن الله اسم نبيّه باسمه في مواضع عديدة ، كالشهادتين ، وفي الأذان ، وعلى المنابر ، فلقد رفع الله له ذِكْرَه صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

ومن فوائد الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم رفع الدعاء إلى السماوات العُلى

قال علي ﷺ : كلُّ دعاءٍ محجوبٌ حتى يُصَلَّى على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم [٥] .

---

(١) حديث حسن : رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤١٩/١ ، ١١/٦) وحسّنه الألباني في صحيح الجامع (برقم ٣٠٦٤) .

(٢) حديثٌ صحيح : رواه أحمد (١٩٥/٥) والترمذي (٤٥٩/٥) وابن ماجه (١٢٤٥/٢) .

(٣) لتفصيل هذه المسألة وفضل الذِّكر والذّاكر . يُراجع الوابل الصيب لابن القيم (ص ٥٨) .

(٤) رواه البخاري . كتاب الرقاق . باب التواضع (١٩٠/٧) .

(٥) حديث حسن : رواه الطبراني في الأوسط (٢٢٠/١) والبيهقي في شعب الإيمان (٢١٦/٢) وقال : هكذا وجدته موقوفًا .

قال الهيثمي في المجمع (١٦٠/١٠) : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات .

وقال ابن مسعود ﷺ : إذا أراد أحدكم أن يسأل فليبدأ بالمِدْحة والثناء على الله بما هو أهله ، ثم لِيُصَلّ على النبي صلى الله عليه و سلم ، ثم لِيُصَلّ بعد فإنه أجْدَر أن ينجح [1] .

فيفتتح الدعاء بالصلاة عليه ﷺ ، ويُختتم بالصلاة عليه [2] .

وأما صفة الصلاة على رسول الله ﷺ ، فإنها كما علمها أصحابه عندما سألوه قائلين : يا رسول الله كيف نُصلّي عليك ؟ فقال : قولوا اللهم صل على مُحَمَّد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على مُحَمَّد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد [3] .

١٥ - عدم الاعتداء في الدعاء

لأن الاعتداء في الدعاء نوعٌ من العبث لا يليق بالعبادة ، ويتنافى مع آداب الدعاء .

ويدخل تحت الاعتداء :

أ - دعاء اللهِ سبحانه بغير الأسماء الثابتة في الكتاب والسُّنة

قال سبحانه وتعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

قال الشوكاني : والإلحادُ في أسمائه سبحانه يكون على ثلاثة أوجُه :

١ – إما بالتغيير ؛ كما فعله المشركون ، فإنهم أخذوا اسم اللات من الله ، والعُزّى من العزيز ، ومناة من المنان .

٢ – أو بالزيادة عليها ؛ بأن يخترعوا أسماء من عندِهم لم يأذنِ الله بها .

٣ – أو بالنقصان منها ؛ بأن يدعوه ببعضها دون بعض [4] .

وعدّ الحافظ في الفتح من الاعتداء :

وقال الشيخ الألباني (الصحيحة مج ٥ / ٥٤ – ٥٨) : وخلاصة القول أن الحديث بمجموع هذه الطرق والشواهد لا ينزل عن مرتبة الحسن – إن شاء الله تعالى – على أقل الأحوال .

قال مُقيّده – عفا الله عنه – : وقول أبي الحسن – ﷺ – لا يُقال من قبيل الرأي ، فله حكم المرفوع .

(١) رواه عبد الرزاق (ح ١٩٦٤٢) .

(٢) وقد تقدم (ص ٢٧) البدء بالصلاة على النبي ﷺ بعد الثناء على الله – عز وجل – .

(٣) رواه البخاري . كتاب الدعوات . باب هل يُصلي على غير النبي ﷺ ... (١٥٧/٧) وفي مواضع أُخر . ورواه مسلم . كتاب الصلاة (٣٠٦/١) .

(٤) فتح القدير (٣٠٥/٢) .

٤ – تسميته بما لم يرد في الكتاب أو السنة الصحيحة [١] .

ب - تكلّف السجع في الدعاء

السَّجْع هو تركيب الكلام بحيث تكون أواخره على نسق واحد .

وإذا قصد الداعي السجع انشغل قلبه بتركيب الكلام وانصرف عن الدعاء .

وقد أنكر النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم على حَمَل بْن النّابِغَةِ الْهُذَلِيّ عندما قال : يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ أَغْرَمُ مَنْ لاَ شَرِبَ وَلاَ أَكَلَ وَلاَ نَطَقَ وَلاَ اسْتَهَلّ ؟ فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلّ ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إِنّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهّانِ . مِنْ أَجْلِ سَجْعِهِ الّذِي سَجَعَ [٢] .

فإذا كان هذا في كلام عابر فكيف إذا كان في الدعاء الذي هو العبادة ؟

وأخرج البخاري عنِ ابن عباسٍ – رضي الله عنهما – أنه قال : فانظر السجعَ من الدعاء فاجتنِبْه ، فإني عهدتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابَهُ لا يفعلون إلا ذلك . يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجتِناب [٣] .

أي أنهم يجتنبون السجع في الدعاء .

وأخرج الإمام أحمد عن عائشة – ﵂ – أنها قالت لابن أبي السائب : واجتنب السجع في الدعاء ، فإني عهدت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه يكرهون ذلك [٤]

وفي رواية ابن أبي شيبة قالت : اجتنب السجع في الدعاء ، فإني عهدت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه وهم لا يفعلون ذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة : وأما من دعا الله مخلصًا له الدين بدعاء جائز سمعه الله وأجاب دعاءه سواء كان معربا أو ملحونا ، والكلام المذكور [٥] لا أصل له ، بل ينبغي للداعي إذا لم تكن عادته الأعراب أن لا يتكلف الإِعراب ، قال بعض السلف : إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع وهذا

---

(١) فتح الباري (٢٢٤/١١) .

(٢) رواه البخاري . كتاب الطب . باب الكهانة (٢٧/٧) ومسلم . كتاب القسامة (١٣٠٩/٣) . ومعنى (يُطَلّ) أي يُهدر . وفي بعض الروايات (بَطَل) .

(٣) كتاب الدعوات . باب ما يُكره من السجع في الدعاء (١٥٣/٧) .

(٤) رواه أحمد (٢١٧/٦) وابن حبان في (٢٥٨/٣ إحسان) ، ورواية ابن أبي شيبة الآتية في (٢١/٦) ، وقال الهيثمي (١٩١/١) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٥) يقصد ما ورد في السؤال ، حيث سُئل عن رجل دعا دعاء ملحونا ، فقال له رجل : ما يقبل الله دعاء ملحونا .

كما يَكره تكلف السجع في الدعاء ، فإذا وقع بغير تكلف فلا بأس به ، فإن أصل الدعاء من القلب ، واللسان تابع للقلب ، ومن جعل همّته في الدعاء تقويم لسانه أضعف تَوَجّه قلبه ، ولهذا يدعو المضطر بقلبه دعاء يُفتح عليه لا يَحضره قبل ذلك ، وهذا أمر يجده كل مؤمن في قلبه [١]

جـ - رفعُ الصوتِ بالدعاء والمبالغةِ في ذلك

المسلم إذا توجّه في الدعاء فإنه يدعو سميعًا بصيرا قريبًا مُجيبا .

أخرج الشيخان عن أبي موسى الأشعريّ – ﷺ – قال : كنّا معَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فكنّا إذا أشرَفْنا على وادٍ هلّلْنا وكبّرنا ، وارتفعَت أصواتُنا ، فقال النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : يا أيّها الناسُ ، ارْبَعوا على أنفُسكم ، فإنكم لا تَدْعونَ أصمَّ ولا غائبًا ، إنهُ معكم إنهُ سميعُ قَريب ، تَبارَكَ اسمهُ ، وتَعالى جَدُّه [٢] .

وفي رواية لمسلم قال : والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم .

قال النووي في المنهاج : فيه الندب إلى خفض الصوت بالذكر إذا لم تدع حاجة إلى رفعه ، فإنه إذا خفضه كان أبلغ في توقيره وتعظيمه ، فإن دعت حاجة إلى الرَّفْعِ رَفَع [٣] .

وقال ابن حجر في الفتح : اربعوا : أي ارفقوا ، ولا تُجهدوا أنفسكم .قال الطبري : فيه كراهة رفع الصوت بالدعاء والذكر ، وبه قال عامة السلف من الصحابة والتابعين [٤] .

وروى ابن أبي شيبة عن مجاهد أنه سمع رجلا يرفع صوته بالدعاء فرماه بالحصى [٥] .

وروى أيضا أن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : أيها الناس إنكم لا تَدعُون أصمَّ ولا غائبا يعني في رفع الصوت بالدعاء .

وروى أيضا عن الحسن قال : كانوا يجتهدون في الدعاء ، ولا يُسْمَع إلا همسا .

---

(١) مجموع الفتاوى (٤٨٨/٢٢ ، ٤٨٩) .

(٢) رواه البخاري . كتاب الجهاد والسير . باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير (١٦/٤) ومسلم . كتاب الذِّكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٠٧٦/٤) ، والرواية الآتية له في الموضع نفسه .

(٣) (٢٥/١٧) ، والمنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج هو المشهور بشرح النووي على صحيح مسلم .

(٤) (١٨٨/١١) .

(٥) (٢٣٢/٢) .

وعن عبد الله بن نسيب قال : صليت إلى جنب سعيد بن المسيب المغرب ، فلما جلست في الركعة الآخرة رفعت صوتي بالدعاء فانتهرني ، فلما انصرفت قلت له : ما كرهت مني ؟ قال : ظننتَ أن الله ليس بقريب منا ؟ [(١)] .

وكان السلف يكرهون أن يسمع الرجل جليسه شيئا من الدعاء .

قال ابن مفلح : يُكره رفع الصوت بالدعاء مطلقًا . قال المروذي : سمعت أبا عبد الله يقول : ينبغي أن يُسرَّ دعائه لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾[الإسراء:١١٠] قال في المستوعب : يُكره رفع الصوت بالدعاء ، وينبغي أن يُخفي ذلك لأن الله تعالى قال : ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[الأعراف:٥٥] فَأَمَرَ بذلك [(٢)] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : والسُّنّة في الدّعاء كلِّه المخافتة ، إلا أن يكون هناك سبب يُشرع له الجهر [(٣)] .

قال الكمال ابن الهمام : ما تعارفه الناس في هذه الأزمان من التمطيط والمبالغة في الصياح والاشتغال بتحريرات النغم إظهارًا للصناعة النغمية لا إقامة للعبودية ، فإنه لا يقتضي الإجابة بل هو من مقتضيات الردّ ، وهذا معلوم إن كان قصده إعجاب الناس به فكأنه قال : أعجبوا من حسن صوتي وتحريري ، ولا أرى أن تحرير النغم في الدعاء – كما يفعله القراء في هذا الزمان – يصدر ممن يفهم معنى الدعاء والسؤال ، وما ذاك إلا نوع لعب ، فإنه لو قدر في الشاهد سائل حاجة من ملك أدّى سؤاله وطلبه بتحرير النغم فيه من الخفض والرفع والتطريب والترجيع كالتغنّي نسب البتة إلى قصد السخرية واللعب ، إذ مقام طلب الحاجة التضرع لا التّغني ، فاستبان أن ذاك من مقتضيات الخيبة والحرمان [(٤)] .

د - ذكر التفاصيل في الدعاء

---

(١) هذه الآثار رواها ابن أبي شيبة في المصنف (٦/٨٥) .

(٢) انظر الآداب الشرعية والمِنح المرعية (٢/١٨٧) . وأبو عبد الله هو إمام أهل السنة ، الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

(٣) مجموع الفتاوى (٢٢/٤٦٨) .

(٤) نقلاً عن فيض القدير للمناوي (١/٢٢٩) .

سمع سعد بن أبي وقاص ابنًا له يُصلي فكأن يقول في دعائه : اللهم إني أسألك الجنة ، وأسألك من نعيمها ، وبهجتها ، ومن كذا ، ومن كذا ، ومن كذا ومن كذا ، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها ، ومن كذا ، ومن كذا . قال : فسكت عنه سعد ، فلما صلى قال له سعد : تعوّذت من شر عظيم ، وسألت نعيمًا عظيمًا – أو قال : طويلاً ، شعبة شك – قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء ، وقرأ : ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥] قال شعبة : لا أدري قوله : ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ هذا من قول سعد أو قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم . وقال له سعد : قل : اللهم أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل[١] .

وعن عَبْد اللهِ بْن مُغَفّلٍ أنه سَمِعَ ابْنَهُ يَقُولُ : اللّهُمّ إِنّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الْجَنّةِ إِذَا دَخَلْتُهَا ، فَقَالَ : أَيْ بُنَيّ سَلِ اللهَ الْجَنّةَ ، وَعُذْ بِهِ مِنَ النّارِ ، فَإِنّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَقُول : سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدّعَاءِ [٢] .

وما ذلك إلا لعلم الصحابة ﷺ بحرص النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على جوامع الدعاء ، والبعدِ عن التكلّف . وقد ربّاهم النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم على ذلك

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : الدعاء ليس كلّه جائزًا ، بل فيه عدوان محرم ، والمشروع لا عدوان فيه ، وأن العدوان يكون تارة في كثرة الألفاظ ، وتارة في المعاني [٣] .

وعن عَائِشَةَ ﷺ قالَتْ : كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَسْتَحِبّ الْجَوَامِعَ مِنَ الدّعَاءِ ، وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِك [٤] .

---

(١) رواه أحمد (١٧٢/١) وأبو داود (٧٧/٢) وابن ماجه (٢٨١/٤) وفي إسناده زياد بن مخراق ، وهو ثقة . قال الأثرم : سألت أحمد عنه ، فقال : ما أدري . قال : وقلتُ له : روى حديث سعد أن النبي ﷺ قال : يكون بعدي قوم يعتدون في الدعاء . فقال : نعم . لم يُقِم إسناده . والحديث حسّنه الألباني في صحيح الجامع (برقم ٣٦٧١)

(٢) حديث صحيح : رواه أحمد (٥٥/٥) وأبو داود (٢٤/١) وابن ماجه (٢٨١/٤) والحاكم (٧٢٤/١) وقال :صحيح الإسناد ، وابن حبان (١٦٦/١٥ إحسان) .

(٣) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٧٤) .

(٤) حديث صحيح : رواه أحمد (١٨٩/٦) وأبو داود (٧٧/٢) والحاكم (٧٢٣/١) وصححه .

لأن ما سوى ذلك يدخل في التكلف ، وهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد أُمِر أن يقول : (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) [ص:٨٦] .

والتعدِّي في الدعاء يُفوّتُ المقصود من جوامع الدعاء . قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أَيّهَا النّاسُ اتّقُوا اللّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطّلَبِ ، فَإِنّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا ، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا ، فَاتّقُوا اللّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطّلَبِ . خُذُوا مَا حَلّ ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ [(١)] .

ومعنى أجمِلوا في الطلب : اعتدلوا ولا تُفرِطوا فيه .

إذا عُلِمت هذه الآداب ، فللدعاء أماكن وأوقات وأحوال هي مظانّ إجابة الدعاء .

١٦ ـ اختيار الأوقات والأماكن والأحوال التي هي مظانّ الإجابة

ثمة أوقات وأحوال وأماكن يكون الدعاء فيها أقرب وأحرى للإجابة .

أما الأوقات فمنها :

أولاً : بين الأذان والإقامة

عندما يكون العبد في انتظار الصلاة فهو في صلاة ، وهو في قُربة وطاعة .

عن أَنَس – ﷺ – قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : لا يُرَدّ الدّعَاء بَيْنَ ٱلأذَانِ والإقَامَة [(٢)] .

ولفظه عند الترمذي . قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : الدّعَاءُ لاَ يُرَدّ بَيْنَ الأَذَانِ والإقَامَة . قالُوا فَمَاذَا نَقُولُ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : سَلُوا الله العَافِيَةَ فِي الدّنْيَا وَالآخِرَة [(٣)]

---

(١) حديث صحيح : رواه من حديث جابر بن عبد الله : الطبراني في الأوسط (٢٦٨/٣) والبيهقي في الكبرى (٢٦٥/٥) وابن عبد البر في التمهيد (٤٣٥/٢٤) . ورواه من حديث ابن مسعود : هناد في الزهد (٢٨١/١) ابن أبي شيبة (٧٩/٧) .

(٢) حديثٌ صحيح : رواه أحمد (١١٩/٣) وأبو داود (١٤٤/١) والنسائي في الكبرى (٢٢/٦) وابن خزيمة (٢٢١/١) وابن حبان (٥٩٤/٤ إحسان) وزادا : " فادعوا " ، وهي عند أحمد أيضا (١٥٥/٣) .

(٣)(٥٧٦/٥) وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ .

قال مُقيّده – عفا الله عنه – : ومدار إسناده عنده على زيد العمي ، وهو ضعيف ، إلا أن بريد بن أبي مريم تابعه على الشطر الأول منه ، كما في المسند (١٥٥/٣) وعند النسائي في الكبرى (٢٢/٦) وابن أبي شيبة في المصنف (٣١/٦) وابن حبان (٥٩٤/٤ إحسان) والضياء في المختارة (٣٩٢/٤) .

قال ابن عمر : كُنّا نُحَدَّث أن أبواب السماء تُفْتَح عند كل أذان .

وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُصلِّي قبل الظهر أربعًا ، ويقول : إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء ، فأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح [1] .

ثانيًا : آخر ساعة من يوم الجمعة

عن أبي هريرةَ – ﷺ – قال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وعلى آله وسلم : في يوم الجمعة ساعةٌ لا يُوافِقها مسلمٌ ، وهو قائمٌ يُصلي يسألُ اللهَ خيرًا إلاّ أعطاه إيّاه. وقال بيده يقللها يزهدها [2] .

وفي حديث عبد الله بن سلاَم – ﷺ – قال : قلت – ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم جالس – : إنا لنَجِدُ في كتاب الله تعالى في يوم الجمعة ساعةٌ لا يوافقها عبد مؤمن يُصلي يسأل الله بها شيئا إلا قضى الله له حاجته . قال عبد الله : فأشار إليّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أو بعضُ ساعة . فقلت : صدقت ، أو بعض ساعة . قلت : أي ساعة هي ؟ قال : آخر ساعات النهار . قلت : إنها ليست ساعة صلاة . قال : بلى ، إن العبد إذا صلى ، ثم جلس لم يجلسه إلا الصلاة ، فهو في صلاة [3] .

وقد أشكل هذا على أبي هريرة حول هذه الساعة ، وكيف يكون العبد في صلاة ، وهي ساعة نُهي عن الصلاة فيها ؟

---

(١) حديث صحيح : رواه أحمد (٤١١/٣) والترمذي (٣٤٢/٢) والضياء في المختارة (٣٩٤/٩) والطبراني في الأوسط (٣٥٣/٤) من حديث عبد الله بن السائب – ﷺ – .

وله شاهد من حديث أبي أيوب – ﷺ – : رواه عبد الرزاق (٦٥/٣) وأحمد (٤١٨/٥) وأبو داود (٢٣/٢) وابن ماجه (٤٠/٢) والبيهقي في " الشُّعَب " (١٢٣/٣) .

وله شاهد ثالث من حديث عبد الله بن سفيان – ﷺ – : رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢١١/٥) .

(٢) رواه البخاري .كتاب الدعوات. باب قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت (١٦٥/٧ ، ١٦٦) ومسلم . كتاب الجمعة (٥٨٤/٢) .

(٣) حديث صحيح : رواه الإمام أحمد (٤٥١/٥) وابن ماجه (٣٢/٢) وقال البوصيري : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات على شرط الصحيح . ورواه الضياء في المختارة (٤٤٤/٩) . وقوله : (إنا لنَجِدُ في كتاب الله تعالى) يعني : التوراة . وعبد الله بن سلام كان يهوديًا فأسلم فرضي الله عنه وأرضاه .

فقد حدَّثَ أبو هريرة – ﷺ – أنه لَقي عبد الله بن سلام – ﷺ – فحدّثه عن مجلس جَلَسَه مع كعب الأحبار ، وأنهما تذاكرا فيه ساعة الجمعة ، فقال عبد الله بن سلام : قد علمت أية ساعة هي . قال أبو هريرة : فقلت له : فأخبرني بها . فقال عبد الله بن سلام : هي آخر ساعة من يوم الجمعة . فقلت : كيف هي آخر ساعة من يوم الجمعة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : لا يصادفها عبد مسلم وهو يُصَلِّي . وتلك الساعة لا يُصَلَّى فيها ؟ فقال عبد الله بن سلام : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : مَنْ جلس مجلسا ينتظر الصلاة ، فهو في صلاة حتى يُصلي ؟ قال : فقلت : بلى . قال : هو ذاك [1] .

ثالثًا : عند صعود الخطيب المنبر يوم الجمعة حتى تُقضى الصلاة

وقع الخلاف حول ساعة الجمعة ، وما ذلك إلا لخفائها ، وإخفاؤها لأجل الاجتهاد وطلبها والحرص عليها ، كما أُخفيت ليلة القدر .

عن أبي بُرْدَةَ بنِ أبي مُوسَى الأشعري قال : قال لِي عَبْدُ الله ابنُ عُمر : أسَمِعْتَ أبَاكَ يُحَدّثُ عن رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في شَأْنِ الجُمُعَةَ – يَعْنِي السّاعَةَ – ؟ قال : قُلْتُ : نَعَمْ سَمِعْتُهُ يقولُ : سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقولُ : هِيَ مَا بَيْنَ أنْ يَجْلِسَ الإمامُ إلَى أنْ تُقْضَى الصّلاَةُ . قالَ أبُو دَاوُدَ : يَعْنِي عَلى المِنْبَرِ [2] .

---

(١) حديث صحيح : رواه أحمد (٤٥١/٥) وأبو داود (٢٧٤/١) ومالك في الموطأ (١٠٩/١) والترمذي (٣٦٢/٢) والنسائي (١٢٨/٣) وابن حبان (٧/٧) والحاكم (٤١٣/١) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ورواه البيهقي في الكبرى (٢٥٠/٣) والضياء في المختارة (٤٢٦/٩) .

وقد أشكل هذا على الشيخ أحمد شاكر في شرحه لجامع الترمذي (٣٦٣/٢) فظنّ أن قول عبد الله بن سلام " في انتظار الصلاة " إنما هو استنباط استنبطه ، ولم يزعمه سماعًا من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ولذلك تأوّل قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأنه ينتظر الصلاة .

قال مُقيّده – عفا الله عنه – : ليس الأمر كما ذهب إليه – رحمه الله – فقد سبق آنفًا إيراد ما رواه ابن ماجه عنه صريحًا من قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إن العبد إذا صلى ، ثم جلس لم يجلسه إلا الصلاة ، فهو في صلاة . وكان ذلك أشكل على عبد الله بن سلام أولا ثم سأل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فبيّن له . والله أعلم .

(٢) رواه مسلم . كتاب الجمعة (٥٨٤/٢) وأبو داود (٢٧٦/١) ، وانظر – غير مأمور – صحيح الترغيب والترهيب للألباني (٣٦٩/١) حاشية (١) .

وللعلماء كلام حول هذا الحديث ، ولا يمنع أن تكون الساعة قد قُسِمتْ بين هذين الوقتين ، وفضل الله واسع لا حصر له ، أو أنها تنتقل بين الأوقات ، كما تنتقل ليلة القدر [١] .

وينبغي التّنبُّه إلى أنه لا يُشتغل بالدعاء حال الخُطبة ، ولا تُرفعُ الأيدي إلا في الاستسقاء ، أي إذا دعا الإمام يوم الجمعة لطلب سُقيا المطر .

رابعًا : جوف الليل الآخر وأدبار الصلوات المكتوبة

عندما تهدأ العيون ، وتغار النجوم ، ويتلذذ أُناس بالنوم على الفُرُش ، فإن أُناسًا من المؤمنين يُناجون مَن لا تأخذه سِنة ولا نوم ، فيستجيب لهم .

فعن أبي أمامة قال : حدثني عَمْرُو بنُ عَبسَةَ أَنّهُ سَمِعَ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقُولُ : أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرّبّ مِنَ العَبْدِ في جَوْفِ اللّيْلِ الآخِرِ ، فإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمّنْ يَذْكُرُ الله في تِلْكَ السّاعَةِ فَكُنْ [٢] .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : ينزل ربُّنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقي ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فأستجيبَ له ، ومن يسألُني فأعطيَه ، ومن يستغفرني فأغفرَ له [٣] .

وفي صحيح مسلم من حديث عن جابر قال : سمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة [٤] .

وكَانَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَقُولُ إِذَا قَامَ إِلَى الصّلاَةِ مِنْ جَوْفِ اللّيْلِ : اللّهُمّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ومَنْ فيهنّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيّامُ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ،

---

(١) انظر : فتح الباري ، ابن حجر (٤١٦/٢ – ٤٢١) فقد ذَكَر أربعين قولا في تحديد ساعة الجمعة .

(٢) حديث صحيح : رواه الترمذي (٥٦٩/٥) والنسائي في الكبرى (٤٨٢/١) وابن خزيمة (١٨٢/٢) والحاكم (٤٥٣/١) والطبراني في مسند الشاميين (٣٤٩/١) وابن عبد البر في التمهيد (٢٣/٤) ، وقال : وهو حديث صحيح ، وطرقه كثيرة حسان شامية .

(٣) رواه البخاري . كتاب التهجد . باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ...(٤٧/٢) ومسلم .كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٥٢١/١ ، ٥٢٢) .

(٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٥٢١/١ ، ٥٢٢) .

وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبّ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنّ ، أَنْتَ الْحَقّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقّ ، وَقَوْلُكَ الْحَقّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقّ ، وَالْجَنّةُ حَقّ ، وَالنّارُ حَقّ ، والنّبيُّون حقٌّ ، ومُحَمَّد صلى الله عليه وعلى آله وسلم حقٌّ ، وَالسّاعَةُ حَقّ . اللّهُمّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدّمْتُ وما أَخّرْتُ ، وما أَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ . أَنْتَ الْمُقَدّم وأنت المؤخّر ، لاَ إِلَهَ إِلاّ أَنْتَ [1] .

فيُثني على الله – عز وجل – بما هو أهله ثم يدعوه .

وذلك لما يَعْلَم – عليه الصلاة والسلام – من فضل الدعاء في جوف الليل ، ولِمَا سيأتي من أن الدعاء عند الاستيقاظ مستجابٌ لمن بات متطهرًا .

وخرج المحاملي وغيره من حديث أبي هريرة – ﷺ – عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : قال الله تعالى : من ذا الذي دعاني فلم أجبه ، وسألني فلم أعطه ، واستغفرني فلم أغفر له ، وأنا أرحم الراحمين [2] .

عَن أبي أُمَامَةَ قال : قِيلَ لرَسُولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أَيّ الدّعَاءِ أَسْمَعُ ؟ قال : جَوْف اللّيْلِ الآخِرُ ، وَدُبُرَ الصّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ [3] .

وَدُبُرَ الصّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ : أي قبل السلام كما ثبتت بذلك الأحاديث .

ففي حديث عبد الله بن مسعود – وذكر صفة التشهد – قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ثم ليتخير أحدكم من الدعاء أعجبه إليه فيدعو به . وفي رواية : ثم ليتخيّر من المسألة ما شاء أو ما أحب [4] . أي : قبل السلام .

وكانوا يستحبّون أن يكون أهمّ الدعاء في صلاة الفريضة .

قال عَبْد اللهِ بن مَسْعُودٍ : احْمِلُوا حوائجكم على المكتوبة [1] .

---

(١) متفق عليه : وفي رواية لهما : (قيّمُ) بدل (قيام) . وتقدم تخريجه (ص ٣٢) .

(٢) ذَكَرَه ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/٤٨٠) ، ومعناه صحيح .

(٣) حديث صحيح : رواه الترمذي (٥/٥٢٦) و قال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ . وهو كما قال . ورواه النسائي في الكبرى (٦/٣٢) وعبد الرزاق في المصنف (٢/٤٢٤) . وله شاهد من حديث عمرو بن عَبَسَة – ﷺ – وسيأتي الحديث وتخريجه .

(٤) الرواية الأولى رواها البخاري . كتاب الأذان . باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد وليس بواجب (١/٢٠٣) ، والثانية رواها مسلم . كتاب الصلاة (١/٣٠٢) .

وعند ابن أبي شيبة : أُدْعُوا فِي صَلاَتِكُمْ بِأَهَمِّ حَوَائِجِكُمْ إِلَيْكُمْ [٢] .

وقال عمرو بن دينار : ما مِن صلاة أحب إليّ مِن أن أدعو فيها حاجتي مِن المكتوبة [٣] .

وقَالَ عَوْن بن عبد الله : اجْعَلُوا حَوَائِجَكُمَ الَّتِي تَهُمُّكُمْ فِي الصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ [٤] .

وما ذلك إلاّ لأن الْمُصَلِّي يقرع باب الْمَلِك . قال عَبْد اللهِ بن مَسْعُودٍ : مَنْ كَانَ فِي الصَّلاةِ فَهُوَ يَقْرَعُ بَابَ الْمَلِكِ، وَمَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْمَلِكِ يُوشِكُ أَنْ يُفْتَحَ لَهُ [٥] .

قَالَ إِبْرَاهِيم : كَانُوا يُحِبُّونَ أَنْ يَدْعُوَ الإِمَامُ بَعْدَ التَّشَهُّدِ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ جَوَامِعَ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، " قَالَ: مَهْمَا عَجَّلَ بِهِ الإِمَامُ فَلا تَعْجَلْ عَنْ هَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ [٦] .

وأصل هذا الدعاء في السنة : ما علّمه النبي ﷺ لعائشة ﵂ ، قالت : قال لي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَيْكِ بِالْكَوَامِلِ "، أَوْ كَلِمَةً أُخْرَى، فَلَمَّا انْصَرَفَتْ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ لَهَا: قُولِي: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَسْتَعِيذُكَ مِمَّا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رَشَدًا [٧] .

وفي رواية : يَا عَائِشَةُ! عَلَيْكِ بِجُملِ الدُعاءِ وجَوامِعه [٨] .

خامسًا : يومُ عرفة

---

(١) رواه عبد الرزاق (ح ٤٠٤٠) .

(٢) المصنف (ح ٣٠٣١) .

(٣) مصنف عبد الرزاق (٤٤٩/٢) .

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (ح ٣٠٣٢) و حلية الأولياء ، أبو نُعيم (٢٥٣/٤) .

(٥) حلية الأولياء ، أبو نُعيم (١٣٠/١) وشعب الإيمان ، البيهقي (ح ٢٨٧٩) .

(٦) مصنف ابن أبي شيبة (ح ٣٠٣٠) .

(٧) رواه الإمام أحمد (ح ٢٥١٣٧) والبخاري في " الأدب المفْرَد " (ح ٦٣٩) وابن ماجه (ح ٣٨٤٦) وقال الألباني : صحيح (الصحيحة – ح ١٥٤٢) ، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح (تخريج المسند ٤٢ / ٦٧)

(٨) الأدب المفْرَد " (ح ٦٣٩) .

في ذلك الموقف العظيم يُباهي رب العزة سبحانه ملائكته بعباده الذين أتوه شُعثًا غُبرًا .

قال – عليه الصلاة والسلام – : إن الله عز وجل يُباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة ، فيقول : انظروا إلى عبادي ، أتوني شُعثًا غبرًا [١] .

وقَالَ: مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلاءِ؟ [٢] .

وعَنْ عَمْرِو بنِ شُعَيبٍ عَن أبِيهِ عَن جَدّهِ أنّ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : خَيْرُ الدّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أنا والنّبِيّونَ مِنْ قَبْلِي : لاَ إلَهَ إلاّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كلّ شَيْءٍ قَديرٌ [٣] .

قال الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ: سَأَلْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، عَنْ تَفْسِيرِ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَكْثَرُ دُعَائِي وَدُعَاءِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي بِعَرَفَةَ لا إِلَهَ إِلاّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَإِنَّمَا هُوَ ذِكْرٌ لَيْسَ فِيهِ دُعَاءٌ . قَالَ سُفْيَانُ: أَتَدْرِي مَا قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ حِينَ أَتَى ابْنُ جُدْعَانَ يَطْلُبُ نَائِلَهُ وَمَعْرُوفَهُ ؟ قُلْتُ: لا ، قَالَ: لَمَّا أَتَاهُ قَالَ:

أَأَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي ... حِباؤُكَ أَنَّ شِيمَتَكَ الْحِبَاءُ

إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا ... كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِكَ الثَّنَاءُ

قَالَ سُفْيَانُ: فَهَذَا مَخْلُوقٌ حِينَ يُنْسَبُ إِلَى الْجُودِ قِيلَ يَكْفِينَا مِنْ تَعَرُّضِكَ الثَّنَاءُ عَلَيْكَ حَتَّى تَأْتِيَ عَلَى حَاجَتِنَا فَكَيْفَ بِالْخَالِقِ؟ [٤]

سادسًا : ليلة القدر

---

(١) حديث صحيح : رواه الإمام أحمد من حديث عبد الله عمرو بن العا(٢/٢٢٤) ، ومن حديث أبي هريرة (٢/٣٠٥) .

(٢) رواه مسلم . (ح ١٣٤٨) .

(٣) حديث حسن بمجموع طُرقه : رواه الترمذي (٥/٥٧٢) .

وله شاهد عن عبد الله بن كريز مرسلا . رواه مالك في الموطأ (١/ ٢١٤ ، ٤٢٢) ومن طريقه البيهقي في الكبرى (٤/٢٨٤) ، (٥/١١٧) وقال : هذا مرسل ، وقد روي عن مالك بإسناد آخر موصولا ، ووصله ضعيف .

ورواه موصولا من حديث أبي هريرة في شعب الإيمان (٣/٤٦٢) .

قال مُقيّده – عفا الله عنه – : وهو حديث حسن بمجموع طُرقه .

(٤) شُعب الإيمان ، البيهقي (٢/٩٥) .

عَن عَائِشَةَ قالَتْ قُلْتُ : يا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أيّ لَيْلَةٍ لَيْلَةِ القَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا ؟ قال : قُولِي : اللّهُمّ إِنّكَ عَفُوّ كريم تُحِبُ العَفْوَ فاعْفُ عَنّي [١] .

فأرشدها إلى الدعاء ، ودلّها عليه في تلك الليلة المباركة .

ولذا قالت عائشة – ﷺ – : لو علمت أي ليلة ليلة القدر ، لكان أكثر دعائي فيها أنْ أسأل العفو والعافية [٢] .

سابعًا : عند الصف في سبيل الله ، وعند الأذان

عندما تلتحم الصفوف ، وتبلغ القلوب الحناجر ، ويذكر المحبّ حبيبه ، يذكر المؤمن ربّه ويدعوه ويتضرعّ إليه .

قال ابن القيم – رحمه الله – : من أحب شيئا أكثر من ذكره بقلبه ولسانه ، ولهذا أمر الله سبحانه عباده بذكره على جميع الأحوال وأمرهم بذكره أخوف ما يكونون فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥] والمُحِبُّون يفتخرون بذكرهم أحبابهم وقت المخاوف وملاقاة الأعداء كما قال قائلهم :

ولقد ذكرتك والرماح كأنها أشطان بئر في لَبان الأدهم

فوددت تقبيل السيوف لأنها بَرَقَتْ كبارق ثغرك المتبسّم

وفي بعض الآثار الإلهية : إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو ملاقٍ قِرنه . فعلامة المحبة الصادقة ذكر المحبوب عند الرغب والرهب [٣] .

فإذا كان الأمر كذلك فإن الداعي وقت التحام الصفوف أقرب ما يكون إلى الإجابة .

روى الإمام مالك عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السّاعِدِيّ أَنهُ قَال : سَاعَتَانِ تُفْتَحُ لَهُمَا أَبْوَابُ السّمَاءِ ، وَقَلّ دَاعٍ تُرَدّ عَلَيْهِ دَعْوَتُهُ : حَضْرَةُ النّدَاءِ لِلصّلاةِ [٤] ، وَالصّفُّ فِي سَبِيلِ اللهِ [١] .

---

(١) حديث صحيح : رواه أحمد (٦/٢٥٨) والترمذي (٥/٥٣٤) وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيحٌ ، والنسائي في الكبرى (٤/٤٠٧) وابن ماجه (٤/٢٧٣) والحاكم (١/٧١٢) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٢) رواه النسائي في الكبرى (٦/٢١٨) .

(٣) روضة المحبين (٢٧٢) باختصار يسير .

(٤) يعني الأذان للصلاة .

وعنه – ﷺ – أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : ثنتان لا تُردان ، أو قلما تُردّان : الدعاء عند النداء وعند البأس ؛ حين يلحم بعضهم بعضا [٢] .

وقد تقدم أن الدعاء عند الأذان لا يُردّ ، وفي الإعادة إفادة .

ثامنًا : عند نـزول الغيث

عن سهل بن سعد – ﷺ – عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : ثنتان ما تردّان – أو قلّما تردّان – : الدعاء عند النداء ، وتحت المطر [٣] .

تاسعًا : أوقات متفرقة

عن جابر بن عبد الله أن النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم دعا في مسجد الفتح ثلاثًا : يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ، فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين ، فعُرف البِشر في وجهه . قال جابر : فلم ينزل بي أمر مهم غليظ إلا توخّيت تلك الساعة ، فأدعو فيها فأعرف الإجابة [٤] .

وقد يتهيأ للعبد أكثر من فرصة لإجابة الدعاء ، كأن يكون مسافرًا عصر الجمعة ، فيجتمع حال السفر مع ساعة الإجابة آخر النهار ، وقد يدعوا بين الأذان والإقامة وهو ساجد يصلي فيجتمع حال السجود مع هذا الوقت الذي هو مظنة إجابة الدعوة .

وقد تجتمع ثلاثُ فُرص ، كالمسافر عصر الجمعة ويدعوا لأخيه بظهر الغيب وهكذا .

[وأما الأماكن الفاضلة التي يستجاب فيها الدعاء فمنها]

---

(١) (٧٠/١) ومن طريقه عبد الرزاق (٤٩٥/١) وابن أبي شيبة (٣٠/٦) البخاري في الأدب المفرد (ص ٢٤٦ صحيح الأدب) والبيهقي في الكبرى (٤١١/١) ، ورواه مرفوعًا ابن حبان (٥/٥ إحسان) . ويشهد له ما بعده .

(٢) حديث صحيح : رواه أبو داود (٢١/٣) والدارمي (٢٩٣/١) وابن خزيمة (٢١٩/١) وابن الجارود في المنتقى (٢٦٧) والحاكم (٣١٣/١)

(٣) حديث حسن : رواه الحاكم (١٢٤/٢) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ومن طريقه أخرجه البيهقي في الكبرى (٣٦٠/٣) وحسّنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٠٧٩) .

(٤) حديث حسن : رواه أحمد (٣٣٢/٣) والبخاري في الأدب المفرد (ص ٢٦٢ صحيح الأدب) وهو حديث حسن كما قال الألباني .

الملتَزَم وهو بجوار الحجر الأسود ، وسمي كذلك لأن الناس يلتزمونه بصدورهم وأيديهم ، وهو ما بين الحجر الأسود إلى باب الكعبة .

وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُلزِق صدره ووجهه بالمُلتَزَم [١] .

وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – : الملتَزم ما بين الركن والباب [٢] .

وعنه – ﷺ – أنه كان يَلْزَمُ ما بين الركن والباب ، وكان يقول : ما بين الركن والباب يدعى المُلْتَزَم ، لا يَلْزَم ما بينهما أحد يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه [٣] .

وعن مجاهد أنه قال :كانوا يَلْتَزِمُون ما بين الركن والباب ويَدْعُون [٤] .

وقال مُحَمَّد بن عبد الرحمن العبدي : رأيت عكرمة بن خالد ، وأبا جعفر وعكرمة مولى ابن عباس ، يلتزمون ما بين الركن وباب الكعبة [٥] .

وعن معمر أنه قال : رأيت أيّوب يُلصق بالبيت صدره ويديه [٦] .

وعنه عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان يلصق بالبيت صدره ويده وبطنه [٧] .

وأما التعلق بأستار الكعبة – من غير تمسّح أو طلب تبرّك – فلا حرج فيه ، وكان التعلّق معروفًا ، وهو يدلّ على اللجوء والاستعاذة بالله .

وقد روى البخاري ومسلم عن أنس – ﷺ – أنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه على آله وسلم عام الفتح وعلى رأسه المغفر ، فلما نزعه جاء رجل فقال : إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة ! فقال : اقتلوه [١] .

---

(١) رواه الدارقطني (٢٨٩/٢) والبيهقي في شعب الإيمان (٤٥٧/٣) ، وفي الكبرى (١٦٤/٥) إلا أنه وقع عنده عمرو بن شعيب عن عكرمة عن جده . وحسّنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٠١٢) .
وقد قوّى الزيلعي في نصب الراية بعض طرق أحاديث الدعاء عند الملتزم .
وانظر – غير مأمور – نصب الراية للزيلعي (٩١/٣) ، والدراية (٣٠/٢ ، ٣١) والتلخيص الحبير (٢٨٨/٢) كلاهما لابن حجر .

(٢) رواه عبد الرزاق (٧٦/٥) وابن أبي شيبة (٢٣٦/٣) ، ورواه مالك في الموطأ (٤٢٤/١) بلاغًا .

(٣) رواه البيهقي في الكبرى (١٦٤/٥) .

(٤) رواه ابن أبي شيبة (٢٣٦/٣) .

(٥) رواه ابن أبي شيبة (٢٣٦/٣) .

(٦) رواه عبد الرزاق (٧٤/٥) .

(٧) رواه عبد الرزاق (٧٦/٥) .

وذلك أنه قتل رجلاً من الأنصار ثم ارتد ولحق بالمشركين [٢]

وقال – عليه الصلاة والسلام – في أربعة نفر : اقتلوهم وأن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة[٣]

مما يدلّ على أن التّعلّق بأستار الكعبة له أصل ، وكان معروفًا ، ولم يُنكره النبي صلى الله عليه على آله وسلم .

إلا أنه لا يُتعلّق بأستار الكعبة تبركًا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : ولَمّا كانت الكعبة بيت الله الذي يُدعى ويُذكر عنده ، فإنه سبحانه يستجار به هناك ، وقد يُستمسك بأستار الكعبة [٤] .

ومن الأماكن أيضا :

المسجد الحرام على وجه الخصوص ، ومكة على وجه العموم .

مكة – شرّفها الله وحرسها – هي البلد الأمين ، وفيها بيت الله ، ولذا تُضاعف الحسنات في الحرم [٥] ، وتعظم السيئات فيه .

وكانت قريش تُعظِّم البيت والدعاء عنده .

ولذا لَمّا صلّى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عند البيت ، وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض : أيكم يجيء بِسَلَى جزور بني فلان فيضعه على ظهر مُحَمَّد إذا سجد ؟

---

(١) البخاري .كتاب الجهاد والسير. باب قتل الأسير وقتل الصبر (٢٨/٤) وفي مواضع أُخر ، ومسلم .كتاب الحج (٩٨٩/٢)

(٢) يُنظر لذلك التمهيد لابن عبد البر (١٦٧/٦) .

(٣) رواه النسائي (١٠٥/٧) والضياء في المختارة (٢٤٨/٣) والحاكم (٦٢/٢) وابن أبي شيبة (٤٠٤/٧) والدراقطني (٥٩/٣) وابن عبد البر (١٧٦/٦)

(٤) مجموع الفتاوى (٢٢٧/١٥) .

(٥) وأقصد بـ " الحَرَم " هنا ما كان داخل حدود الحرم ، فهو الذي تُضاعف الصلاة فيه ، وقد بسط الأدلة فيها وناقشها فضيلة الشيخ د . إبراهيم الصبيحي – حفظه الله – في كتابه " المسائل المُشكِلة من مناسك الحج والعمرة " ص ١٠٠ وما بعدها .

فانبعث أشقى القوم [1] فجاء به فنظر حتى إذا سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه . قال ابن مسعود : وأنا أنظر لا أغني شيئا لو كانت لي مَنَعَة . قال : فجعلوا يضحكون ويحيل [2] بعضهم على بعض ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه ، حتى جاءته فاطمة فطرحت عن ظهره فرفع رأسه ثم قال : اللهم عليك بقريش – ثلاث مرات – فشقّ عليهم إذ دعا عليهم . قال : وكانوا يَرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة [3] . ثم سمّى : اللهم عليك بأبي جهل وعليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط – وعَدّ السابع فلم نحفظه – قال ابن مسعود : فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ صرعى في القليب قليب بدر [4] .

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : وفي الحديث تعظيم الدعاء بِمكّة عند الكفار [5] ، وما ازدادت عند المسلمين إلاّ تعظيمًا ، وفيه معرفة الكفار بِصِدْقِه ﷺ لِخوفهم من دعائه ، ولكن حَمَلهم الحسد على ترك الانقياد له [6] .

وأما بقية المساجد فللأحاديث الواردة في فضل الدعاء بين الأذان والإقامة ، والغالب في حال المسلم أنه يكون في المسجد في هذا الوقت .

والذي يظهر أن الوقت والمكان اجتمعا في الدعاء بين الأذان والإقامة . والله أعلم .

---

(١) هو عقبة بن أبي مُعيط – لعنه الله – .

(٢) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٤١٧/١) : " ويُحيل بعضهم " كذا هنا بالمهملة من الإحالة ، والمراد أن بعضهم ينسب فعل ذلك إلى بعض بالإشارة تهكما ، ويحتمل أن يكون من حال يَحيل بالفتح إذا وثب على ظهر دابته ، أي يثب بعضهم على بعض من المرح والبطر ، ولمسلم من رواية زكريا " ويَميل " بالميم ، أي من كثرة الضحك ، وكذا للمصنف من رواية إسرائيل .

(٣) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٤١٨/١) : ويمكن أن يكون ذلك مما بقي عندهم من شريعة إبراهيم عليه السلام .

(٤) رواه البخاري . كتاب الوضوء . باب إذا ألقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته ... (٦٥/١) .

(٥) أي : أن الكفار يُستعظمون الدعاء بِمكة .

(٦) فتح الباري (٤١٩/١)

ومن الأماكن التي يُستجاب فيها الدعاء : الصفا والمروة حـال السّعي .

فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما فرغ من طوافه أتى الصفا فَعَلا عليه حتى نظر إلى البيت ، ورفع يديه فجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو [١] .

وكان عمر – ﷺ – إذا صعد الصفا استقبل البيت ، ثم كبر ثلاثا ، ثم قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، يرفع بها صوته ، ثم يدعو قليلا ، ثم يفعل ذلك على المروة حتى يفعل ذلك سبع مرات [٢] .

قال ابن عبد البر: وفيه – أي حديث جابر– أن الصفا والمروة موضع دعاء تُرجى فيه الإجابة [٣] .

بالإضافة إلى عرفة فإنها من المواطن التي يستجاب فيها الدعاء ، فهي جمعت بين الزمان والمكان .

وكذلك عند المشعر الحرام بعد صلاة الفجر ليلة عيد الأضحى لمن كان حاجًا ، كما مرّ في حديث جابرِ بنِ عبدِ اللهِ – رضي الله عنهما –قال : ثُمّ ركبَ القصواءَ حتّى وقفَ على المَشعرِ الحرامِ ، واستقبلَ القبلةَ ، فدعا اللهَ ، وكبّرَهُ ، وهلّلَهُ ، ووحّدَهُ ، حتى أسفر جدًا [٤]

وبعد رمي الجمرات عدا جمرة العقبة ، كما كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يفعله ، فقد كان يقوم بعد الجمرة الصغرى والوسطى قيامًا طويلاً فيدعو ، كما حكاه عنه ابن عمر – رضي الله عنهما – [٥] .

وأما الأحوال التي يُستجاب فيها الدعاء فمنها :

١ ـ دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب

عن صفوان بن عبد الله بن صفوان قال : قدمت الشام فأتيت أبا الدرداء في منزله فلم أجده ووجدت أم الدرداء ، فقالت : أتريد الحج العام ؟ فقلت : نعم . قالت : فادع الله لنا بخير ، فإن النبي

---

(١) رواه مسلم . كتاب الجهاد والسير (١٤٠٦/٣) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٨٢/٦) .

(٣) التمهيد (٩١/٢) .

(٤) تقدم تخريج الحديث (ص ٢٧) .

(٥) رواه البخاري في كتاب الحج . باب من رمى جمرة العقبة ، ولم يقف ... (٦٢٣/٢) .

صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يقول : دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملكٌ موكَّل كلما دعا لأخيه بخير ، قال الملك الموكل به : آمين ولك بمثل . قال : فخرجت إلى السوق ، فلقيت أبا الدرداء فقال لي مثل ذلك يرويه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم [(١)] .

وهل رأيت أفضل من أن يؤمِّن على دعائك من لم يعص الله طرفة عين – أي الملَك – فأنت المستفيد على كل حال ، يوكّل بك ملك كلما دعوت لأخيك قال : آمين ولك بمثل .

وفي هذا الحديث إشارة إلى طلب الدعاء من الآخرين ، وأنه كان معروفًا خلافًا لمن كرهه [(٢)]

٢ ـ حال السفر

٣ ـ دعوة الوالد لولده ، وعلى ولده

٤ ـ دعوة المظلوم

وهذه الثلاث جمعها حديث أبي هريرة – ﷺ – أَنّ النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ لاَ شَكّ فِيهِنّ : دَعْوَةُ الْوَالِدِ على ولده ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ [(٣)] .

وفي حديث عقبة بن عامر الجهني – ﷺ – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ثلاثة تُستجاب دعوتهم : المسافر والوالد والمظلوم [(٤)] .

وعند ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – ﷺ – قال : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنّ لاَ شَكّ فِيهِنّ : دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ [(٥)] .

فعُلِم بذلك أن دعوة الوالد مستجابة سواءً كانت على ولده أو لِوَلَدِهِ .

---

(١) رواه مسلم . كتاب الذِّكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٤/٢٠٩٤) .

(٢) وقد تقدّم هذا المعنى في طلب أبي عامر وأبي موسى – رضي الله عنهما – من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الدعاء . وأما حديث : لا تنسنا يا أُخيّ من دعائك . فهو ضعيف . انظر ضعيف الجامع الصغير (برقم ٦٢٧٨)

(٣) حديث صحيح : رواه أحمد (٢/٥١٧) وأبو داود (٢/٨٩) والترمذي (٤/٣١٤) وابن حبان (٦/٤١٦ إحسان) .

(٤) حديث حسن : رواه أحمد (٤/١٥٤) وابن خزيمة (٤/١١٣) .

(٥) (٤/٢٨١) ورواه أبو داود الطيالسي (٤/٢٥١) وإسناده ضعيف كما بينه د. مُحَمَّد التركي – حفظه الله – في تحقيقه لمسند أبي داود الطيالسي – الموضع السابق – وتشهد له الأحاديث السابقة واللاحقة .

وقد نُهينا أن ندعو على أولادنا خشية أن تُوافِق تلك الدعوة ساعة إجابة ، فيُستجاب دعاء الوالد أو الوالدة على الولد (الذكر والأنثى) .

أخرج مسلم في صحيحه عن جَابِرِ بنِ عَبْدِ الله – ﷺ – قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلا تَدْعُوا عَلَى أَوْلاَدِكُمْ ، وَلا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ ، لا تُوَافِقُوا مِنَ الله سَاعَةً يُسأل فيها عَطَاءٌ فَيَسْجِيب لَكُمْ [١] .

ولما بَعَثَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم معاذًا إلى اليمن حذّره دعوة المظلوم فقال : واتّقِ دَعوةَ المظلومِ ، فإنه ليس بينَهُ وبينَ اللهِ حِجابٌ [٢] .

وفي حديث أَبي هُرَيْرَةَ – ﷺ – قال : قال رسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثَلاَثَةٌ لا تُرَدّ دَعْوَتُهُمْ – وذَكَر مِنهم – : وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ يَرْفَعُهَا الله فَوْقَ الغَمَام ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السّمَاءِ ، ويَقُولُ الرّبّ وعِزّتِي لأنُصُرَنّك وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ [٣] .

وحذّر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من دعوة المظلوم ، وأخبر عن سرعة صعودها ، مما يُشعر بسرعة استجابتها .

فقال – عليه الصلاة والسلام – : اتقوا دعوة المظلوم ؛ فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرار [٤]

وقال أبو الدرداء – ﷺ – : اعمل لله كأنك تراه ، واعدد نفسك مع الموتى ، وإياك ودعوات المظلوم ؛ فإنهن يصعدن إلى الله عز وجل كأنهن شرارات نار [٥]

كما حذّر من دعوة المظلوم وإن كان كافرًا فقال : اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرًا ؛ فإنه ليس دونها حجاب [٦] .

---

(١) كتاب الزهد والرقائق (٤/٢٣٠٤) .

(٢) رواه البخاري .كتاب الزكاة . باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا (٢/١٣٦) ومسلم .كتاب الإيمان (١/٥٠) .

(٣) حديث صحيح لغيره : رواه أحمد (٢/٤٤٥) والترمذي (٤/٦٧٢) . وابن ماجه (٢/٣٤٩) وابن خزيمة (٣/١٩٩) وابن حبان (٣/١٥٨ إحسان) .

(٤) رواه الحاكم (١/٨٣) وقال الألباني : صحيح على شرط مسلم (الصحيحة (٢/٥٢٨) ح ٨٧١

(٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧/٣٨٢) .

(٦) تقدّم تخريجه (ص ١٠) من هذا البحث .

وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا سافر يتعوذ من : وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، والحَوْرِ بعد الكون ، ودعوة المظلوم ، وسوء المنظر في الأهل والمال [١] .

ودعوة المظلوم تسري في جوف الليل ، فينام الظالم والمظلوم لم يَنم ، يرفع يديه ويستنزل عقوبة الله على من ظَلَمَه .

قال ابنٌ ليحيى البرمكي – وهم في السجن والقيود – : يا أبتِ بعد الأمر والنهي والنعمة صرنا إلى هذا الحال ؟! فقال : يا بني دعوة مظلوم سَرَتْ بليل ونحن عنها غافلون ولم يغفل الله عنها ، ثم أنشأ يقول :

رب قوم قد غَدَوا في نعمةٍ زمنًا والدهرُ ريانُ غَدَق
سَكَتَ الدهرُ زمانا عنهمُ ثم أبكاهم دما حين نَطَق [٢]

٥ ـ حـال الاضطرار

قال سبحانه : (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) [النمل:٦٢]

وذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق قصة رجل له بَغْلٌ يُكريه من دمشق إلى بلد الزبداني ، ويَحمل عليه الناس .قال : فركب معي ذات مرة رجل ، فمررنا على بعض الطريق على طريق مسلوكة ، فقال لي : خذ في هذه فإنها أقرب . فقلت : لا خبرة لي فيها . فقال : بل هي أقرب ، فسلكناها فانتهينا إلى مكان وعر ، وواد عميق ، وفيه قتلى ، فقال لي : أمسك رأس البغل حتى أنزل فنزل وتشمّر وجمع عليه ثيابه وسل سكينًا معه ، وقصدني ، ففرت من بين يديه وتبعني ، فناشدته الله ، وقلت : خذ البغل بما عليه ، فقال : هو لي ، وإنما أريد قتلك ! فخوّفته الله والعقوبة ، فلم يقبل فاستسلمت بين يديه ، وقلت : إن رأيت أن تتركني حتى أصلي ركعتين ، فقال : عجِّل ، فقمت أصلي فارتج عليّ القرآن فلم يحضرني منه حرف واحد ، فبقيت واقفًا متحيرًا ، وهو يقول : هيه ! افرغ ، فأجرى الله

---

(١) رواه مسلم من حديث عبد اله بن سرجس . كتاب الحج (٩٧٩/٢) . و " الحور بعد الكون " ضُبِطَتْ أيضا : الحَور بعد الكَور . وانظر – غير مأمور – تعليق مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي على الحديث (صحيح مسلم – الموضع السابق) . قال الإمام الترمذي في " الجامع " (٤٩٧/٥) : وَمَعْنَى قَوْلِهِ: الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْنِ، أَوِ الْكَوْرِ، وَكِلاهُمَا لَهُ وَجْهٌ، يُقَالُ: إِنَّمَا هُوَ الرُّجُوعُ مِنَ الإِيمَانِ إِلَى الْكُفْرِ، أَوْ مِنَ الطَّاعَةِ إِلَى المَعْصِيَةِ، إِنَّمَا يَعْنِي الرُّجُوعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الشَّرِّ .

(٢) المنتظم لابن الجوزي (١٩٢/٩) والبداية والنهاية لابن كثير (٦٧٩/١٣)

على لساني قوله تعالى : ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[النمل:٦٢] فإذا أنا بفارس قد أقبل من فمِ الوادي وبيده حربة ، فرمى بها الرجل فما أخطأت فؤاده ، فَخَرّ صريعًا ، فتعلقت بالفارس ، وقلت : بالله من أنت ؟ فقال : أنا رسول الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء [(١)] .

وإنما تحصلُ إجابةُ دعوةِ المضطر لأنه يُخلِص في تلك الحال – حال الاضطرار – ولو كان مشركا [(٢)] .

٦ ـ الصّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ

حين يُفطر الصائم يفرح بإكمال صيام يوم ، وبتمام طاعته لِربّه .

قال عَبْد اللهِ بْن أَبِي مُلَيْكَةَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إِنّ لِلصّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُرَدّ [(٣)] .

قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ إِذَا أَفْطَرَ : اللّهُمّ إِنّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الّتِي وَسِعَتْ كُلّ شَيْءٍ أَنْ تَغْفِرَ لِي [(٤)]

---

(١)(٢٥١/٦٨) وروى اللالكائي في كرامات الأولياء (مج ٥ جـ ١٦٦/٩) في كرامات أبي معلق – ﷺ – قصة شبيهة بهذه القصة مع اختلاف في الدعاء ، وذكره ابن حجر في الإصابة (٣١٣/٧) في ترجمة أبي معلق ، ونسب القصة إلى ابن أبي الدنيا في مجابي الدعوة .

(٢) انظر – غير مأمور – (ص ٩ ، ١٠ ، ٤٠) من هذا البحث .

(٣) حديث حسن : رواه ابن ماجه (٣٥٠/٢) .

وقال البوصيري – في الزوائد – : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات . ورواه الحاكم (٥٨٣/١) وقال : إسحاق هذا إن كان ابن عبد الله مولى زائدة ، فقد خرّج عنه مسلم ، وإن كان بن أبي فروة فإنهما لم يخرجاه .

قال مُقيّده – عفا الله عنه – : ليس هذا ولا ذاك ، فقد ورد اسم ابيه مُصغّرًا في رواية ابن ماجه ، ورجّح ابن حجر في التقريب (ص ١٣٠) أن الذي أخرج له ابن ماجه هو : إسحاق بن عبيد الله بن أبي المهاجر ، وهو مقبول .

وساق ابن حجر في التهذيب (٢١٦/١) هذا الحديث في ترجمته ، والحديث رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٠٧/٣) .

وللحديث شاهد من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٠٨/٣) .

(٤) سنن ابن ماجه (٣٥٠/٢) .

وفي حديث أَبي هُرَيْرَةَ – المتقدِّم – قالَ : قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ثَلاَثَةٌ لا تُرَدّ دَعْوَتُهُمْ : – وذكر منهم – الصّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ [١]

قال نافع : قال ابن عمر : كان يُقال إن لكل مؤمن دعوة مستجابة عند إفطاره ، إما أن يُعجل له في دنياه ، أو يُدّخر له في آخرته . قال : فكان ابن عمر – رضي الله عنهما – يقول عند إفطاره : يا واسع المغفرة اغفر لي [٢] .

٧ ـ حـال السجود

عندما يخرّ المصلّي ساجدًا فإنه يضع أشرف مكان فيه وأعلاه على الأرض ، خاضعًا ذليلاً بين يدي مولاه ، فيكون أقرب ما يكون إلى ربّه تبارك وتعالى .

قال رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أَلاَ وَإِنّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا ، وأمّا الرّكُوعُ فَعَظّمُوا فِيهِ الرّبّ عَزّ وَجَلّ ، وأمّا السّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدّعَاءِ ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ [٣] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدّعَاءَ [٤] .

ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول في سجوده : اللهم اغفر لي ذنبي كلَّه ، دِقَّهُ وجِلَّهُ ، وأولَه وآخرَه ، وعلانيتَه وسرَّه [٥] .

قال مسروق : ما من حال أحرى أن يستجاب لعبدٍ فيه إلا أن يكون في سبيل الله ، من أن يكون عافرًا وجهه ساجدا [٦] .

٨ ـ حال البيتوتة على طهارة

---

(١) سَبَقَ تخريجه (٤٦) حاشية (١٧٢)

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٠٧/٣) .

(٣) رواه مسلم . كتاب الصلاة (٣٤٨/١) . ومعنى قمن : أي حريٌ وجدير وقريب .

(٤) رواه مسلم . الموضع السابق (٣٥٠٨/١) .

(٥) رواه مسلم . الموضع السابق نفسه .

(٦) رواه ابن أبي شيبة (١٥٩/٢) .

لا يُحافظ على الوضوء إلا مؤمن ، ومَن بات طاهرًا فقد اقتدى بسيد الأنام عليه الصلاة والسلام .

عن عُبادةُ بنُ الصامِتِ – ﷺ – عنِ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : مَن تَعارّ منَ الليلِ فقال : لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له ، له المُلكُ ، وله الحمدُ ، وهوَ على كلّ شيءٍ قدير . الحمدُ للهِ ، وسبحان الله ، ولا إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكبرُ ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلاّ باللهِ ثم قال : اللهمّ اغفِرْ لي ، أو دَعا استُجيبَ له فإنْ توضّأَ قبلَتْ صلاتُه [1] .

وعَن أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيّ – ﷺ – قال : سَمِعْتُ رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقُولُ : مَنْ أَوَى إِلى فِرَاشِهِ طَاهِرًا يَذْكُرُ الله حَتّى يُدْرِكَهُ النّعَاسُ ، لَمْ يَنْقَلِبْ سَاعَةً مِنَ اللّيْلِ يَسْأَلُ الله شَيْئًا مِنْ خَيْرِ الدّنْيَا والآخِرَةِ إلاّ أَعْطاهُ الله إيّاهُ [2] .

وفي هذا الحديث قيدٌ مهم ، وهو البيات على طهارة تامة من الحدث الأصغر والأكبر .

وعن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ – ﷺ – عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَبيتُ عَلَى ذِكْرٍ طَاهِرًا فَيَتَعَارّ مِنَ اللّيْلِ ، فَيَسْأَلُ الله خَيْرًا مِنَ الدّنْيَا وَالآخِرَةِ إلاّ أَعْطَاهُ إِيّاهُ [3] .

---

(١) رواه البخاري . كتاب التهجد . باب فضل من تعار من الليل فَصَلّى (٤٩/٢) . ومعنى تعار : أي استيقظ وتقلب .

(٢) رواه الترمذي (٥٤٠/٥) وقال : حسن غريب ، وقد روي هذا أيضا عن شهر بن حوشب عن أبي ظبية عن عمرو بن عبسة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .
ورواه الطبراني في الكبير (١٢٥/٨) من طريق شهر عن أبي أمامة مرفوعًا
قال مُقيّده – عفا الله عنه – : الطريق التي أشار إليها الترمذي – حديث عمرو بن عبسة – رواها الطبراني في الكبير (١٢/٨) والطحاوي في شرح معاني الآثار (٨٧/١) ومدار إسنادها على أبي ظبية ، وهو مقبول ، وشهر بن حوشب فيه مقال ، وله شاهد من حديث معاذ – وهو الآتي بعده – .

(٣) رواه أحمد (٢٣٤/٥) أبو داود (٣١٠/٤) والنسائي في الكبرى (٢٠١/٦) وفي عمل اليوم والليلة (٤٦٩/١) وابن ماجه (٢٩٠/٤) وعبد بن حميد (ص ٧٣) والبزار (١٢٠/٧) كلهم رووه عن شهر عن أبي ظبية عن معاذ به . وهو الحديث الآتي بعد هذا الحديث . ورواه أحمد (٢٤١/٥) عن عفان عن حماد بن سلمة قال : كنت أنا وعاصم بن بهدلة وثابت ، فحدّث عاصم عن شهر بن حوشب عن أبي ظبية عن معاذ بن جبل – فَذَكَرَه – فقال ثابت : قدم علينا فحدثنا هذا الحديث ، ولا أعلمه إلا يعنى أبا ظبية . قلت لحماد : عن معاذ ؟ قال : عن معاذ .
وهذه متابعة قوية ، فقد تابَعَ ثابت البناني شهر بن حوشب عليه ، فيكون ثابت رواه عن أبي ظبية عن معاذ . =

قال ثَابِتٌ الْبُنَانِيّ: قدِمَ عَلَيْنَا أَبُو ظَبِيةَ ، فحدّثَنَا بِهَذَا الْحَدِيثِ عن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ عن النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم . قال ثَابِتٌ : قال فلاَنٌ : لقَدْ جَهَدْتُ أَنْ أَقُولَهَا حِينَ أَنْبَعِثُ ، فَمَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا [1] .

فاسْأَلِ الله العونَ والتوفيق في كلِّ أمورِك .

٩ ـ عند ختم القرآن :

لكلّ عامل أُجرة عند خِتام عمله ، وقارئ القرآن له أُجرة مُعجّلة في الدنيا ، وهي دعوة مستجابة عند ختم القرآن ، مع ما يدّخر الله له يوم القيامة .

ولذا كان أنس إذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته فدعا لهم [2] .

وجاء عنه أنه إذا أشفى على ختم القرآن الليل بقى منه شيئا حتى يصبح ، فيجمع أهله فيختمه معهم [1] .

= ورواه ابن أبي شيبة (١١١/١) عن شهر عن أبي أمامة موقوفًا . فلعل الحديث يرتقي إلى رتبة الحسن لغيره – إن شاء الله – .

ويشهد لبعضه حديث ابن عمر مرفوعًا : من بات طاهرًا بات في شعاره ملك ، فلم يستيقظ إلا قال الملك : اللهم اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهرًا . رواه ابن حبان (٣٢٨/٣ إحسان) وابن المبارك في الزهد (ص ٤٤١) والبيهقي في شعب الإيمان (٢٨/٣) وهو في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٥٩٤) .

(١) رواه أبو داود (٣١٠/٤) .

(٢) رواه عنه الدارمي (٥٦٠/٢) وابن أبي شيبة (١٢٨/٦) وسعيد بن منصور (١٤٠/١) والطبراني في الكبير (٢٤٢/١) والبيهقي في شعب الإيمان (٣٦٨/٢) وقال : هذا هو الصحيح موقوف ، وقد روي من وجه آخر عن قتادة عن أنس مرفوعا وليس بشيء ورواه من طريق ثانية ، وفي إسناده أبو عصمة نوح الجامع ، وقد كذّبوه ، ورواه القرطبي في التفسير (٣٠/١) موقوفًا على أنس

وللشيخ الفاضل بكر أبو زيد رسالة بعنوان (مرويات دعاء القنوت) وبحثت عنه فلم أجده ، وأذكر أنه جمع ما في المسألة من أحاديث ورجّح صحة الموقوف .

قال مُقيّده – عفا الله عنه – : وقد رواه الطبراني في الكبير (٢٥٩/١٨) من حديث العرباض بن سارية مرفوعًا بلفظ : من صلى صلاة فريضة فله دعوة مستجابة ، ومن ختم القرآن فله دعوة مستجابة .

قال الهيثمي في المجمع (١٧٢/٧) : رواه الطبراني وفيه عبدالحميد بن سليمان وهو ضعيف .

قال مُقيّده – عفا الله عنه – : وهو كما قال .

وخلاصة القول أن الحديث صحّ وقْفه على أنس ، ولم يصحّ رفعه، والعمل على هذا عند السلف . والله أعلم.

قال قتادة :كان رجل يقرأ في مسجد المدينة وكان ابن عباس قد وضع عليه الرَّصَد فإذا كان يوم ختمه قام فتحول إليه .

وكان عبدالله بن المبارك يعجبه إذا ختم القرآن أن يكون دعاؤه في السجود .

وكان إذا ختم القرآن أكثر دعاءه للمؤمنين والمؤمنات [٢]

والاجتماع من أجل الدعاء عند ختم القرآن كان معروفًا عند السلف ، فقد جاء عن الحكم قال :كان مجاهد وعبدة بن أبي لبابة وناس يعرضون المصاحف ، فلما كان اليوم الذي أرادوا أن يختموا أرسلوا إليّ وإلى سلمة بن كهيل فقالوا : إنا كُنّا نعرض المصاحف فأردنا أن نختم اليوم ، فأحببنا أن تشهدونا . إنه كان يقال : إذا خُتم القرآن نزلت الرحمة عند خاتمته [٣] .

وروى الحكم عن مجاهد قال : بَعَثَ إليّ قال : إنما دعوناك إنا أردنا أن نختم القرآن ، وإنه بلغنا أن الدعاء يستجاب عند ختم القرآن . قال : فدعوا بدعوات [٤]

قال القرطبي : ويستحب له إذا ختم القرآن أن يجمع أهله [٥]

---

(١) رواه الدارمي ، والأثر الآتي بعده عن ابن عباس عنده في الموضع نفسه .

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٣٧٤، ٤١١) وكذا الأثر الذي قبله عن ابن المبارك – رحمه الله – .

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٦/١٢٨) والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٣٧٤) .

(٤) رواه الدارمي (٢/٥٦١) والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٣٧٤) .

(٥) التفسير (١/٣٠) .

خامسًا : أدعية مأثورة ، ودعوات مستجابة

عن أَنَسٍ – ﷺ – أَنَّهُ كَانَ مع رَسُولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم جَالسًا وَرَجُلٌ يُصَلّي ، ثُمّ دَعَا : اللّهُمّ إِنّي أَسْأَلُكَ بِأَنّ لَكَ الْحَمْدُ لا إِلَهَ إِلاّ أَنْتَ المَنّانُ بَدِيعُ السّمَاواتِ وَالْأَرْضِ يَاذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ يَاحَيُّ يَاقَيّومُ . فَقَالَ النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : لَقَدْ دَعَا اللهَ باسْمِهِ العَظِيمِ الّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى [١] .

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سمع رجلاً يقول : اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الواحد الأحد الصمد . فقال : لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب ، وإذا سُئل به أعطى [٢] .

وعن أبي أمامة مرفوعا : اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في سور ثلاث : البقرة ، وآل عمران ، وطه [٣] .

قال القاسم بن عبد الرحمن : فالتمستها فإذا هي : ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾

وقرأ رجل عند عبد الله بن مسعود – ﷺ – البقرة وآل عمران ، فقال : قرأتَ سورتين فيهما اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب ، وإذا سئل به أعطى [٤]

---

(١) حديث صحيح : رواه أحمد (١٢٠/٣) وأبو داود (٧٩/٢) والترمذي (٥٥٠/٥) والنسائي (٥٢/٣) وابن ماجه (٢٧٧/٢) والحاكم (٦٨٣/١) وابن حبان (١٧٥/٣ إحسان) .

(٢) حديث صحيح : رواه أحمد (٣٦٠/٥) أبو داود (٧٩/٢) والترمذي (٥١٥/٥) والنسائي في الكبرى (٣٩٤/٤) وابن ماجه (٢٧٦/٢) والحاكم (٦٨٣/١) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، وابن حبان (١٧٤/٣ إحسان) .

(٣) حديث حسن : رواه ابن ماجه (٢٧٦/٤) والحاكم (٦٨٤/١ –٦٨٦) والطبراني في الأوسط (١٩٢/٨) وفي الكبير (٢٣٧/٨) وفي مسند الشاميين (٤٤١/١) .

والقاسم بن عبد الرحمن هو صاحب أبي أمامة – ﷺ – وهو الراوي عنه .

(٤) رواه الدارمي (٥٤٣/٢) .

وفي حديث أسماء بنت يزيد أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين : (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) وفاتحة آل عمران : (اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) (١) .

وعن أبي الدرداء وابن عباس أنهما كانا يقولان : اسم الله الأكبر : رب رب (٢) .

وقال ابن وهب سُئل مالك عن الداعي يقول : يا سيدي ؟ فقال : يُعجبني دعاء الأنبياء : ربنا ربنا (٣) .

وصحّ عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام (٤)

قال ابن الأثير : معنى أَلِظوا : الزموه ، واثبتوا عليه ، وأكثروا من قوله والتلفظ به .

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : قلما كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه : اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تُهون به علينا مصيبات الدنيا ، ومتّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث مِنّا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا

---

(١) رواه أحمد (٤٦١/٦) وأبو داود (٨٠/٢) والترمذي (٥١٧/٥) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجه (١٢٦٧/٢) والدارمي (٥٤٢/٢) وفي إسناده شهر بن حوشب وفيه كلام ، لكن يشهد له حديث أبي أمامة المتقدّم .

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٤٧/٦ ، ٢٣٣/٧) والحاكم (٦٨٤/١) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٩٧/٨) .

(٤) حديث صحيح : رواه من حديث ربيعة بن عامر : أحمد (١٧٧/٤) والنسائي في الكبرى (٤٠٩/٤) والحاكم (٦٧٦/١) وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

ومن حديث أنس : الترمذي (٥٣٩/٥) والضياء في المختارة (٨١/٦) وحسّن إسناده .

وقال الألباني : صحيح . يُنظر صحيح الجامع الصغير (برقم ١٢٥٠) .

وأما قول ابن الأثير فقد تقدم . وانظر – غير مأمور – (ص ١٦) من هذا البحث .

على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا [1] .

(١) حديث حسن : رواه الترمذي (٥/٥٢٨) والنسائي في الكبرى (٦/١٠٦) والحاكم (١/٧٠٩) .
وقع في رواية الترمذي : اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك . " يَحُول " بالياء .
وفي رواية النسائي : اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول بيننا وبين معاصيك . " تَحُول " بالتاء .

سادسًا : موانع إجابة الدعاء

إذا أتى الداعي بآداب الدعاء ، وتحرّى مواطن الإجابة حالاً وزمانًا ومكانًا ، فعليه التخلّص والابتعاد عما يمنع إجابة الدعاء .

وأما موانع الدعاء فـ :

أولا : أكلُ الحرام - أجارك الله -

فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – ﷺ – قَال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أَيّهَا النّاسُ إِنّ اللهَ طَيّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاّ طَيّبًا ، وَإِنّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ ، فَقَال : (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)[المؤمنون:٥١] ، وقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)[البقرة:١٧٢] ثُمّ ذَكَرَ الرّجُل يُطِيلُ السّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، يَمُدّ يَدَيْهِ إِلَى السّمَاءِ ، يَا رَبّ يَا رَبّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنّى يُسْتَجَابُ لِذَلِك ؟ [1]

فكم جمع هذا المثال من آداب وأحوال يُستجاب معها الدعاء ؟

فهو يُطِيلُ السّفَرَ ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ .

يمدّ يَدَيْهِ إِلَى السّمَاءِ .

يَا رَبّ يَا رَبّ [تكرار الدعاء]

ومع ذلك بعيدٌ كل البعد أن يستجاب له ، أو يُسمع دعاؤه .

والسبب : الحـرام فـ

١ – **مَطْعَمُهُ حَرَامٌ**

٢ – **وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ**

٣ – **وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ**

٤ – **وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ**

فكيف يُستجاب لمن جمع تلك البليّات ؟!

---

(١) كتاب الزكاة (٢/٧٠٣) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يستعيذ بالله من دعوةٍ لا يُستجابُ لها [1]

ثانيًا : استعجال الإجابة وترك الدعاء

أخبر الله – عز وجل – عن طبيعة الإنسان فقال : ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ **[الأنبياء:٣٧]**

وقال – ﷻ –: ﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾ **[الإسراء:١١]**.

والدّاعي قد تغلبه هذه الطبيعة البشرية فيترك الدعاء .

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ . قِيل : يَا رَسُولَ اللهِ مَا الاسْتِعْجَالُ ؟ قَال : يَقُولُ : قَدْ دَعَوْتُ ، وَقَدْ دَعَوْتُ ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي ، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدّعَاءَ [2] .

وقد جمع هذا الحديث بين مانعين من موانع الدعاء :

الأول : الدعاء بالإثم .

والثاني : الاستعجال .

وأخرج البخاري ومسلم عن أَبَي هُرَيْرَةَ – ﷺ – قال : قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ ، فَيَقُولُ : قَدْ دَعَوْتُ رَبّي فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي [3] .

وفي خبر موسى ﷺ [4] **أنه دعا ربَّه فقال** : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ **[ونس: ٨٨]**

---

(١) رواه مسلم . كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٠٨٨/٤) .

(٢) رواه مسلم . كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٠٩٦/٤) .

(٣) رواه البخاري . كتاب الدعوات . باب يستجاب للعبد ما لم يعجل (١٥٣/٧) ومسلم . كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٠٩٥/٤) .

(٤) إذا ذُكِر الأنبياء فتُشرع الصلاة عليهم دون الاقتصار على السلام فحسب ، لقوله – عليه الصلاة والسلام – : صلوا على أنبياء الله ورسله ، فإن الله بعثهم كما بعثني . رواه البيهقي في شعب الإيمان ، وأورده الألباني في صحيح الجامع (برقم ٣٧٨١) ويشهد له ما ثبت في الصلاة الإبراهيمية .

فكان الجواب من ربّ الأرباب : ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩] .

روي عن أبي جعفر مُحَمَّد بن علي وعن الضحاك أنهما قالا – في قوله تعالى : ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩] – : كان بينهما أربعون سنة . وقال ابن جريج : يُقال إن فرعون ملك بعد هذه الآية أربعين سنة . قال مورّق العجلي : دعوت ربي في حاجة عشرين سنة فلم يقضها لي ، ولم أيأس منها [١] .

أي أن دعاء موسى ﷺ لم يُستجب إلا بعد أربعين سنة .

ولا بد أن يُعلم أن من وُفِّق للدعاء فقد وُفِّق لخير كثير ، وليست الإجابة الفورية من شرط الدعاء ، لأن من دعا فهو أمام أحدِ ثلاثةِ أمور :

١ – إما أن تُجاب دعوته مباشرة .

٢ – وإما أن يُصرف عنه من البلاء مثلما سأل .

٣ – وإما أن تُدّخر له في الآخرة أحوج ما يكون إلى الحسنات .

لحديث أبي سعيدٍ الخدري أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن تعجل له دعوته ، وإما أن يدّخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها . قالوا : إذًا نكثر ؟ قال : الله أكثر [٢] .

وكان عمرُ – ﷺ – يقول : إنّي لا أحمل همَّ الإجابة ولكن همَّ الدعاء ، فإذا أُلهمتُ الدعاء فإن الإجابة معه .

قال ابن الجوزي – رحمه الله – :

---

(١) التمهيد لابن عبد البر (٣٠١/١٠) . وانظر – غير مأمور – تفسير الجلالين (ص ٢٨٠) .

(٢) حديث صحيح : رواه الإمام أحمد (١٨/٣) والبخاري في الأدب المفرد (ص ٢٦٤ صحيح الأدب) وعبد بن حميد (٢٩٢) وابن أبي شيبة (٢٢/٦) والحاكم (٦٧٠/١) وصححه ، ووافقه الذهبي . ورواه أبو نعيم في الحلية (٣١١/٦)

إذا وقعتَ في محنة يصعب الخلاص منها ، فليس لك إلا الدعاء واللجأ إلى الله بعد أن تُقدّم التوبة من الذنوب ، فإن الزلل يُوجب العقوبة ، فإذا زال الزلل بالتوبة من الذنوب ارتفع السبب ، فإذا تُبتَ ودعوتَ ، ولم ترَ للإجابة أثرًا فتفقّد أمرك ، فربما كانت التوبة ما صحّت فصححها ، ثم ادعُ ، ولا تملَّ من الدعاء ، فربما كانت المصلحة في تأخير الإجابة ، وربما لم تكن المصلحة في الإجابة ، فأنت تُثاب وتُجاب إلى منافعك ، ومن منافعك أن لا تُعطى ما طلبت بل تُعوّض غيره ، فإذا جاء إبليس فقال : كم تدعوه ولا ترى إجابة ، فقل : أنا أتعبّد بالدعاء ، وأنا موقن أن الجواب حاصل ، غير أنه ربما كان تأخيره لبعض المصالح فهو يجيء في وقت مناسب ، ولو لم يحصل حصل التعبد والتذلل [1] .

وقال – رحمه الله – : من العَجَب إلحاحك في طلب أغراضك ، وكلما زاد تعويقها زاد إلحاحك ، وتنسى أنها قد تُمنع لأحد أمرين :

إما لمصلحتك ، فربما مُعجَّلٌ أذى .

وإما لذنوبك ، فإن صاحب الذّنوب بعيد من الإجابة .

فَنَظِّف طُرق الإجابة من أوساخ المعاصي ، وانظر فيما تطلبه هل هو لإصلاح دينك ، أو لمجرّد هواك ؟ فإن كان للهوى المجرّد ، فاعلم أن من اللطف بك ، والرحمة لك تعويقه ، وأنت في إلحاحك بمثابة الطفل يطلب ما يؤذيه فيُمنع رفقًا به ، وإن كان لصلاح دينك فربما كانت المصلحة تأخيره ، أو كان صلاح الدين بِعَدَمِه . وفي الجملة فتدبير الحق – عز وجل – لك خيرٌ من تدبيرك ، وقد يمنعك ما تهوى ابتلاء ليبلوا صبرك ، فَأَرِهِ الصبر الجميل ترى عن قربٍ ما يَسُرّ [2] .

وقال ابن رجب : فإن المؤمن إذا استبطأ الفَرَج ، وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرعه ولم يظهر عليه أثر الإجابة ، رجع إلى نفسه باللائمة ، وقال لها : إنما أتيت من قِبَلَكِ ، ولو كان فيك خير لأُجِبتِ ، وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات ، فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه ، واعترافه له بأنه أهل لما نزل من البلاء ، وأنه ليس أهلا لإجابة الدعاء ، فلذلك تسرع إليه حينئذ إجابة الدعاء ، وتفريج الكرب ، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله . قال وهب : تعبد رجل زمانا ثم بَدَتْ له إلى الله حاجة ، فقام سبعين سبتا يأكل في كل سبت إحدى عشرة تمرة ، ثم سأل الله

---

(١) انظر – غير مأمور – صيد الخاطر (ص ٣٠٥) .

(٢) المرجع السابق (ص ١٧٩) .

حاجته فلم يُعطها ، فرجع إلى نفسه ، فقال : منك أتيت ، لو كان فيك خيرًا أُعطيت حاجتك ، فنزل إليه عند ذلك ملك ، فقال له : يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت ، وقد قضى الله حاجتك . خرجه ابن أبي الدنيا [1] .

ثالثًا : ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر صمام أمان للفرد والجماعة ، ومِن ذلك أن تركه سبب لعدم إجابة الدعاء .

فعن حُذَيْفَةَ بنِ الْيَمانِ – رضي الله عنهما – عن النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنّ بالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنّ عَنِ المُنْكَرِ ، أو لَيُوشِكَنّ الله أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَ تَدْعُونَهُ فَلا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ [2] .

وعن عائشة ﵂ قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يُستجاب لكم [3] .

وينبغي أن يُعلم أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يُسوّغ ترك الدعاء .

كما أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكون إلا بترك الإنكار بمراتبه الثلاث ؛ الإنكار باليد واللسان والقلب .

ومَن أنكر بالقلب فإنه لم يترك الإنكار .

ومَن ترك الدعاء بترك الإنكار فقد جمع إلى الخطأ خطأ آخر ، وإلى الذنب ذنبًا آخر .

رابعًا : ارتكاب الذنوب والمعاصي

الذّنوب تسدّ طُرق الإجابة ، وتُبعد عن علاّم الغيوب .

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/٤٨٠) .

ومما ينبغي أن يُعلم أن المسلم ليس مُتعبّدًا بأكل إحدى عشرة تمرة كل سَبْت ، بل الذي جاءت به السنة أن يتصبّح كل يوم بسبع تمرات إما مِن عجوة المدينة ، وإما مما بين لابتيها .

(٢) حديث حسن : رواه أحمد (٥/٣٨٨) والترمذي (٤/٤٦٨) وقال : حديث حسن ، وابن أبي شيبة (٧/٤٦٠) .

(٣) حديث حسن : رواه أحمد (٦/١٥٩) وابن ماجه (٤/٣٥٩) وابن حبان (١/٥٢٦ إحسان) .

قال سبحانه موبّخًا الكفار : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾ **[غافر: ٤٩،٥٠]** .

إن المعاصي والذنوب مما يُقسّي القلوب ، وإن أبعدَ شيءٍ من الله القلب القاسي .

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله ، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب ، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي [(١)] .

ولذلك بوّب البخاري – رحمه الله – في أوائل كتاب الدعوات من الصحيح باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة ، باب التوبة ...

قال الحافظ ابن حجر : أشار المصنف بإيراد هذين البابين – وهما الاستغفار ثم التوبة – في أوائل كتاب الدعاء إلى أن الإجابة تُسرع إلى من لم يكن متلبسًا بالمعصية ، فإذا قدّم التوبة والاستغفار قَبْلَ الدعاء كان أمكن لإجابته [(٢)]

قال يحيى بن معاذ الرازي : لا تستبطئن الإجابة إذا دعوت ، وقد سَدَدْتَ طرقها بالذنوب [(٣)]

قال ابن القيم : يا مُستَفْتِحًا باب المعاش بغير إقليد التقوى ، كيف توسع طريقَ الخطايا وتشكو ضيقَ الرزق ، ولو وَقَفْتَ عند مرادِ التقوى لم يَفُتْكَ مُراد [(٤)] .

خامسًا : الاعتداء في الدعاء

وقد تقدّم معنا أن الاعتداء في الدعاء نوع عبثٍ لا يليق بالقُربات ، وقد ينصرف القلب عن الدعاء واستحضار المطلوب إلى تلك الاعتداءات التي تضر ولا تنفع .

---

(١) حديث حسن : رواه الترمذي (٦٠٧/٤) والبيهقي في شعب الإيمان (٢٤٥/٤) ورواه الإمام مالك (٩٨٦/٢) بلاغًا أن عيسى ابن مريم كان يقول : – فَذَكَرَه – ، ومن طريقه رواه ابن المبارك في الزهد (٤٤) ، ورواه ابن أبي شيبة (٣٤٠/٦) عن مُحَمَّد بن يعقوب قال : قال عيسى ابن مريم – فَذَكَرَه – ومن طريقه رواه أحمد في الزهد (٤٠)

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٠٤/١١ – ١٠٦) .

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥٤/٢) .

(٤) الفوائد (ص ٧٧) . ومعنى (إقليد) أي مفتاح .

فمن أراد إجابة دعائه فليجتنب الاعتداء في الدعاء [١] .

سادسًا : غفلةُ القلب

سبق إيراد قوله ﷺ : إن الله لا يستجيب دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ [٢] .

قال ابن القيم – بعد كلام عن الرُّقية ونفعها – : وكذلك الدعاء ، فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب ، ولكن قد يتخلف عنه أثره ، إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان ، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيّتِه عليه وقت الدعاء ، فيكون بمنزلة القوس الرَّخْوِ جدًا ، فإن السهم يخرج منه خروجا ضعيفا ، وإما لحصول المانع من الإجابة ؛ من أكل الحرام ، والظلم ، ورَيْنِ الذنوب على القلوب ، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغَلَبَتِها عليها [٣] .

---

(١) انظر – غير مأمور – (ص ٣٧ – ٤٢) من هذا البحث .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣١) .

(٣) الجواب الكافي (الداء والدواء) ص (٩) .

سابعًا : ثلاثة أصناف لا يُستجاب لهم

عن أبي موسى الأشعري – ﷺ – عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : ثلاثة يَدْعُون الله فلا يستجاب لهم : رجل كانت تحته امرأةٌ سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل كان له على رجل مال فلم يُشهد عليه ، ورجل آتى سفيها ماله ، وقد قال الله – عز وجل – : ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ [النساء:٥] [(١)] .

وعدم استجابة دعاء هؤلاء إنما هو في خصومهم المذكورين في الحديث .

قال المُناوي : رجل كانت تحته امرأةٌ سيئة الخلق فلم يطلقها ، فإذا دعا عليها لا يستجيب له ؛ لأنه المعذب نفسه بمعاشرتها ، وهو في سعة من فراقها ، ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه فأنكره ، فإذا دعا لا يُستجاب له ؛ لأنه المفرط المقصِّر بعدم امتثال قوله تعالى : ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ﴾[البقرة:٢٨٢] ، ورجل آتى سفيهًا – أي محجورًا عليه بِسَفَهٍ – ماله ، أي شيئا من ماله ، مع علمه بالحجر عليه ، فإذا دعا عليه لا يستجاب له ؛ لأنه المضيع لِمالِه فلا عُذر له [(٢)] .

---

(١) رواه الحاكم (٣٣١/٢) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه لتوقيف أصحاب شعبة هذا الحديث على أبي موسى ورواه البيهقي (١٤٦/١٠) وابن أبي شيبة (٥٥٩/٣) موقوفًا على أبي موسى ، وأورده الألباني في السلسة الصحيحة برقم (١٨٠٥) وفاته طريق ابن أبي شيبة وطريق البيهقي .

(٢) فيض القدير (٣٣٦/٣) .

سابعًا : نماذج من دعوات الصالحين

لم أقصد حصر الدعوات المُستجابة ، وإنما أردت حفز الهِمم إلى الدعاء ، خاصة إذا علموا أن من عباد الله الصالحين قد أُجيبت دعواتهم ، وهم ليسوا بأنبياء ولا معصومين ، ولا بالوحي مؤيدين.

وفي الكتاب العزيز والقرآن المجيد نماذج من دعوات الأنبياء والمرسلين ، وقد تقدّم غير أنموذج من دعوات نبينا مُحَمَّد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ودعوة ذي النون ، ودعوة نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم .

وإليك بعض النماذج والأمثلة لدعوات الصالحين :

دعوةُ سعيدِ بنِ زيد - أحد العشرة المبشرين بالجنة - على أروى بنت أويس

عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ ادّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا ، فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، فَقَال سَعِيدٌ : أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ قال : وما سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ قَال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَقُولُ : مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا طَوّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ . فَقَال لَهُ مَرْوَانُ : لاَ أَسْأَلُكَ بَيّنَةً بَعْدَ هَذَا ، فَقَال : اللّهُمّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمّ بَصَرَهَا ، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا . قَال : فَمَا مَاتَتْ حَتّى ذَهَبَ بَصَرُهَا ثُمّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ .

وفي رواية : قال : فرأيتها عمياء تلتمس الجدر ، تقول : أصابتني دعوة سعيد بن زيد فبينما هي تمشي في الدار مرّت على بئر في الدار ، فوقعت فيها فكانت قبرها [1] .

دعوةُ سعد بن أبي وقاص - أحد العشرة المبشرين بالجنة - على أسامة بن قتادة :

عن عبدِ الملكِ بنِ عُميرٍ عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال : شَكا أهلُ الكوفةِ سَعدَ بن أبي وقاص إلى عمرَ – ﷺ – فعزَلَهُ واستعملَ عليهم عَمّارًا ، فشَكَوا حتى ذَكروا أَنّهُ لا يُحسِنُ يُصلّي ، فأَرسلَ إليه فقال : يا أبا إسحاق ! إنّ هَؤلاء يَزعُمونَ أَنّكَ لا تُحسِنُ تُصلّي ! قال أبو إسحاقَ : أمّا أنا واللهِ فإني كنتُ

---

(١) رواه البخاري – مختَصَرًا – كتاب المظالم . باب إثم من ظلم شيئا من الأرض (٣/١٠٠) ، ورواه مسلم بطوله . كتاب المساقاة (٤/١٢٣١)

أُصلي بهم صلاةَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما أخرِمُ عنها ، أُصلّي صلاةَ العِشاءِ فأَرْكُدُ في الأُولَيَيْنِ وَأُخِفّ في الأُخرَيَينِ . قال : ذاكَ الظنّ بكَ يا أبا إسحاقَ ، فأَرسلَ معه رجُلاً – أو رجالاً – إلى الكوفةِ فسألَ عنه أهلَ الكوفةِ ، ولم يَدَعْ مسجدًا إلاّ سألَ عنه ، وَيُثنونَ مَعروفًا ، حتى دخلَ مسجدًا لِبني عبسٍ ، فقامَ رجلٌ منهم يُقالُ له : أُسامةُ بنُ قَتادةَ ، يُكْنَىَ أَبا سَعدةَ قال : أمّا إذ نَشَدْتَنا فإنّ سَعدًا كان لا يَسيرُ بالسريّةِ ، ولا يَقسِمُ بالسّويّة ، ولا يَعدِلُ في القَضيّة .

قال سعدٌ : أَما وَاللهِ لأدْعوَنّ بثَلاثٍ : اللّهمّ إن كان عبدُكَ هذا كاذبًا قامَ رِياءً وَسُمعةً ، فأَطِلْ عمرَهُ ، وَأَطِلْ فَقرَهُ ، وَعَرّضْهُ بالفِتَنِ ، وكان بَعدُ إذا سُئلَ يقول: شَيخٌ كبيرٌ مَفتون أصابَتْني دَعوةُ سعد . قال عبدُ الملكِ – أي ابن عمير– : فأنا رأيتُه بعدُ قد سَقطَ حاجِباهُ عَلَى عَينيهِ منَ الكِبَرِ ، وإنه لَيَتعرّضُ للجواري في الطّرقِ يغمزهُنّ [1] .

وفي رواية : فما مات حتى عميَ ، فكان يلتمس الجدران ، وافتقر حتى سأل ، وأدرك فتنة المختار فقُتِلَ فيها .

دعوةُ سعد بن أبي وقاص أيضا على من كان يسُبّ الصحابة :

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال : أقبل سعدٌ من أرضٍ له ، فإذا الناس عكوفٌ على رجل ، فاطّلع فإذا هو يسبُّ طلحة والزبير وعليًا ، فنهاه ، فكأنما زاده إغراءً ، فقال : فقال : ويلك ! تريدُ أن تسبَّ أقوامًا هم خيرٌ منك ؟ لتنتهينّ أو لأدعونّ عليك . فقال :كأنما تخوفُني نبيّ من الأنبياء ! فانطلق فدخل دارًا فتوضأ ، ودخل المسجد ثم قال : اللهم إن كان هذا سبّ أقوامًا قد سبقت لهم منك حسنى ، أسخطك سبُه إياهم ، فأرني اليوم آيةً تكونُ للمؤمنين آيةً . قال : وتخرج بُختيةٌ من دار بني فلان لا يردُها شيء حتى تنتهي إليه ، ويتفرّقَ الناسُ ، وتجعلَه بين قوائمها وتطأه حتى طفي ، قال : فأنا رأيت سعدًا يتبعه الناس يقولون : استجاب الله لك يا أبا إسحاق [مرتين] [2] .

---

(١) رواه البخاري . كتاب الأذان . باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت (١/١٨٣ ، ١٨٤) ورواه مسلم – مختصرا دون ذِكرِ القصة – (١/٣٣٤ ، ٣٣٥) والرواية التي تليها رواها اللالكائي في كرامات الأولياء (مج ٥/ جـ ٩/ ١٣٧) .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١/١٤٠) وقال الهيثمي في المجمع (٩/١٥٤) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، ورواه ابن أبي شيبة (٦/٣٧٥) مختصرًا .

قال الذهبي : في هذا كرامة مشتركة بين الداعي ، والذين نِيلَ منهم [١] .

دعوته – رضي الله عنه – يوم القادسية على من عرّض به :

عن قَبيصة بن جابر قال : قال ابن عمّ لنا يوم القادسية :

ألم تر أن الله أنزل نصره وسعدٌ بباب القادسية معصَمُ

فأُبنا وقد آمت نساءٌ كثيرةٌ ونسوةُ سعد ليس فيهن أيّمُ

فلما بلغ سعدًا . قال : اللهم اقطع عنّي لسانه ويده ، فجاءت نُشّابَةٌ أصابت فاه فخرس ، ثم قُطعت يدُه في القتال ، وكان في جسد سعد قروح فأخبر الناس بعذره عن شهود القتال ، فعذروه ، وكان سعد لا يجبن ، وقال : إنما فعلت هذا لما بلغني من قولكم [٢] .

دعوةُ المحاميد :

روى الخطيب البغدادي عن أبي العباس البكري قال : جمعت الرحلة [٣] بين مُحَمَّد بن جرير ، ومُحَمَّد بن إسحاق بن خزيمة ، ومُحَمَّد بن نصر المروزي ، ومُحَمَّد بن هارون الروياني بمصر ، فأرملوا ولم يبق عندهم ما يقوتهم ، وأضرّ بهم الجوع ، فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه ، فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة ، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام ، فخرجت القرعة على مُحَمَّد بن إسحاق بن خزيمة ، فقال لأصحابه : أمهلوني حتى أتوضأ ، وأصلي صلاة الخِيَرَة ، قال فاندفع في الصلاة ، فإذا هم بالشموع ، وخصيٌ من قبل والي مصر يدق الباب ، ففتحوا الباب فنزل عن دابته ، فقال : أيكم مُحَمَّد بن نصر ؟ فقيل : هو هذا . فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعها إليه ، ثم قال : أيكم مُحَمَّد بن جرير ؟ فقالوا : هو ذا . فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعها إليه ، ثم قال : أيكم مُحَمَّد بن هارون ؟ فقالوا : هو ذا . فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعها إليه ، ثم قال : أيكم مُحَمَّد بن إسحاق بن خزيمة ؟ فقال : هو ذا يُصلي ، فلما فرغ دفع إليه الصرة ، وفيها خمسون

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/١١٧) .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١/١٤١) ، وقال الهيثمي (٩/١٥٤) : رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات.

(٣) يعني الرحلة في طلب الحديث . فانظر – رحمك الله – إلى معاناة السلف وتكبدهم المشاق والجوع والفقر والفاقة في سبيل تحصيل العلم . من أجل ذلك رفع الله ذِكرهم في العالمين ، وبقيت علومهم يُنتفع بها على مرّ السنين .

دينارا ، ثم قال : إن الأمير كان قائلا بالأمس ، فرأى في المنام خيالاً قال : إن المحامد طووا كشحهم جياعا ، فأنفَذَ إليكم هذه الصِّرار ، وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا إلي أمدُّكم [1] .

فهذه نماذج لدعوات من صدقوا مع الله فصدقهم الله .

أخـــيرًا :

بعد هذا المشوار مع الدعاء وآدابه وموانعه والدعاء المستجاب ، هلاّ ساءلت نفسك :كم مرة انطرحت بين يدي الله ؟

وكم مرة أحسستَ فيها بصدق المناجاة ؟

أليس لك حاجة بل حاجات إلى رب الأرض والسماوات ؟

ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أعجز الناس من عجز عن الدعاء [2] .

أعجَزتَ أن تنفع نفسك بدعوة صالحة ؟ علّ الله أن ينفعك بها .

مُـنـاجـاة [3]

مالي وقد فرّطتُ في أمري سـوى ... ربٍّ إلى نـفـحـاتـه أتـعـرّضُ

ما كان من عذرٍ لتقصيري سوى ... نفسٍ تُقـادُ إلى الجـنان فتُـعـرِضُ

مالي سواك إذ الخطوب تفاقمت ... أمري إليـك على الـدوامِ مُفَوَّضُ

يا خيرَ من أعطى وأكرمَ من عفا ... وإذا دعـاه مـذنبٌ لا يُـعـرِضُ

عبدٌ بضاعتـه الكـلامُ ، جهـادُه ... صحفٌ تُسطّرُ أو قـريض يُقرض

يدعـو الـورى للصـالحات وسِفْره ... في صالح الأعـمـال خِـلْوٌ أبيـض

ويُحـبُّ درب الصالحين وإن أكُـن ... قـصّـرتُ فيـما طوّلـوه وعـرّضوا

---

(١) تاريخ بغداد (١٦٥/٢) . وهؤلاء العلماء الفضلاء هم : مُحَمَّد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ ، ومُحَمَّد بن إسحاق بن خزيمة صاحب الصحيح ، ومُحَمَّد بن نصر المروزي صاحب كتاب تعظيم قدر الصلاة ، وكتاب قيام الليل ، ومُحَمَّد بن هارون الروياني صاحب المسند .

(٢) حديث حسن : رواه الطبراني في الأوسط (٣٧١/٥) مرفوعًا . ورواه ابن حبان (٣٥٠/١٠) والبيهقي في شعب الإيمان (٤٢٩/٦) موقوفًا على أبي هريرة – ﷺ – .

(٣) من ديوان نفحات ولفحات للدكتور يوسف القرضاوي (ص ١٢٠ – ١٢٤) .

لكـن لـه قـلبٌ يُحـبُّـك كلُّه وقلـوبُ أهـلِ الحب لا تتبعّضُ
أنت الـذي أكـرمتني منـذ الصـبا ورعيـتـني والخـير منك مُقـيَّـضُ
وارزقني الإخـلاص حتى لا أُرى إلا وكـلّي في رضـــاك مُمَـحَّـضُ
وأعيشُ يـا ربي لديـنك داعـيًا ما دام بي نَـفَسٌ وعِــرقٌ يـنبِضُ

وسبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد ألا إله إلا أنت ، استغفرك ، وأتوب إليك . ربنا تقبّل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .